واعتصموا بحبل الله جميعاً

الإتحاد الإسلامي العالمي
للمنظمات الطلابية

الجهاد في سبيل الله

أبو الأعلى المودودي
حسن البنّا
سيّد قطب

٢





بسم الله الرحمن الرحيم

الإتحاد الإسلامي العالمي
للمنظمات الطلابية

الجهاد في سبيل الله

أبو الأعلى المودودي
حسن البنا
سيد قطب

الطبعَة الثانية

١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م



النادي الشبابي

الجهاد في سبيل الله

أبو الأعلى المودودي

لقد جرت عـادة الافرنج ان يُعبّروا عن كلمة « الجهاد » «بالحرب المقدسة» « Holy War » اذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم . وقد فسروها تفسيراً منكراً وتفننوا فيه وألبسوها ثوباً فضفاضاً من المعاني المموهة الملفقـة ، وقد بلغ الأمر في ذلك ان أصبحت كلمة «الجهاد» عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء . وقـد كان من لباقتهم وسحر بيانهم وتشويههم لوجوه الحقائق الناصعة انه كلما قرع سمع الناس صوت هـــذه

الكلمة « الجهاد » تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدة ، مصلتة سيوفها متقدة صدورها بنار التعصب والغضب ، متطايراً من عيونها شرار الفتك والنهب ، عالية أصواتها بهتاف «الله أكبر» زاحفة إلى الأمام» ما إن رأت كافراً حتى أمسكت بخناقه وجعلته بين أمرين: اما ان يقول كلمة «لا إله الا الله» فينجو بنفسه وإما ان يُضرب عنقه ، فتشخب أوداجه دماً .

ولقد رسم الدُهاةُ هذه «الصورة» بلباقة فائقة وتفننوا فيها بريشة المتفنن المبدع ، وكان من دهائهم ولباقتهم في هذا الفن ان صبغوها بصبغ من النجيع الأحمر وكتبوا تحتها :

« هذه الصورة مرآة لما كان بسلف هذه الامة من شره إلى سفك الدماء وجشع إلى الفتك بالأبرياء » .

والعجب ، كل العجب ، ان الذين عملوا هذه الصورة وقاموا بما كان لهم من حظ موفور في إبرازها وعرضها على الانظار ، هم الذين مضت عليهم قرون وأجيال يتقاتلون ويتناحرون في ما بينهم إرضاء لشهواتهم الدنيئة وإطفاء لأوار مطامعهم الاشعبية . وتلك هي حربهم الملعونة غير المقدسة التي أثاروها على الأمم

المستضعفة في مشارق الأرض ومغاربها وجاسوا خلال ديارهم يبحثون عن أسواق لبضائعهم وأراضٍ لمستعمراتهم التى يريدون أن يستعمروها ويستبدوا بمنابع ثروتها دون أصحابها الشرعيين ويفتشون عن المناجم وعن المعادن وعما تُغلّه أرض الله الواسعة من الحاصلات التي يمكن ان تكون غذاء لبطون مصانعهم ومعاملهم ، يبحثون عن كل ذلك وقلوبهم كلها جشع وشره إلى المال والجاه ، وبين أيديهم الدبابات المدججة وفوق رؤوسهم الطائرات المحلقة في جو السماء ، ووراء ظهورهم مئات الألوف من العساكر المدربة ، يقطعون على البلاد سبل رزقها وعلى أهاليها الوادعين طريقهم إلى الحياة الكريمة ، يريدون بذلك ان يهيئوا وقوداً لنيران مطامعهم الفاحشة التي لا تزيدها الأيام إلا التهاباً واضطراماً . فلم تكن حروبهم في « سبيل الله » ، وإنما كانت في سبيل شهواتهم الدنيئة وأهوائهم الذميمة ومطامعهم الاشعبية . وان تعجب فعجبٌ حملاتهم وغاراتهم على شعوب وادعة آمنة لم يكن من ذنبها إلا أن الله قد انعم عليها بمعادن وكنوز في أرضها . أو انها كانت تملك تربة خصيبة تغل أنواعاً من الحبوب وخيرات الأرض . وان لم يكن هذا ولا ذاك ، فبحسبها ذنباً أنها يمكن أن تكون سوقاً لبضائعهم نافقة أو مستعمرة لبني جلدتهم الذين ضاقت عليهم أرضهم فلفظتهم . وأدهى من كل

ذلك وأمرّ أنهم كثيراً ما يغيرون على بلاد آمنــة مطمئنة بمجرد انها تقع في طريقهم إلى بلاد قد استولوا عليها من قبل أو يريدون الآن ان يستولوا عليها ويأخذوا زمام أمرها بأيديهم .

هذه هي حال الذين يصموننا بالغزو والقتال . والذي سبق لنا من اعمال الفتوح والحروب قد مضت عليه احقاب طويلة. أما أعمالهم المخزية هذه، فلا يزالون يقترفونها ليل نهار بمرأى ومسمع من العالم المتحضر المتمدن . وأيّ بلاد الله ، يا تُرى ، قد سلمت من عدوانهم وما تخضبت أراضيها بدماء أبنائها الزكية ؟ وأية هذه القارات العظيمة من آسيا وافريقية وامريكا ما ذاقت وبال حروبهم الملعونة ؟ لكن هؤلاء الدهاة رسموا صورتنــا بلباقة منكرة وأبدأوا واعادوا في عرضها بشكل هائل بشع قد سحب ذيل النسيان على صورتهم الدميمة ، حتى لا يكاد يذكرها أحد بجنب الصورة المنكرة التي صوروا بها تاريخنا ومآثر اسلافنا . فما اعظم دهاءهم وما أبرعهم في التزوير والتمويه . أما سذاجتنا وبله رجالنا ، فحدّث عن البحر ولا حرج . وأيُّ بله اعظم من اغترارنا بالصورة المنكرة التي صوروا بها مآثرنا حتى كدنا نؤمن بصحتها ومطابقتها للحقيقة ، وما دار بخلدنا أن ننظر إلى الأيدي الاثيمة التي عملت عملها في رسم هذه الصورة المزوّرة

وأن نبحث عن الاقلام الخفية التي تفننت في تمويهها وزخرفتها . وقد بلغ من اغترارنا بتزويرهم وانخداعنا بتلك الصورة المموهة ان اعترانا الخجل والندامة وعدنا نعتذر إلى القوم . نبدّل كلام الله ونحرف الكلم عن مواضعه ونقول لهم « مالنا وللقتال » أيها السادة !! انما نحن دعاة مبشرون ندعو إلى دين الله ، دين الأمن والسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، نبلّغ كلام الله تبليغ الرهبان والدراويش والصوفية ونجادل من يعارضنا بالتي هي أحسن ، بالخطب والرسائل والمقالات حتى يؤمن من يؤمن بدعوتنا عن بينة . هذه هي دعوتنا لا تزيد ولا تنقص. أما السيف والقتال به فمعاذ الله ان نمت إليه بصلة ، اللهم إلا أن يقال اننا ربما دافعنا عن أنفسنا حينما اعتدى علينا أحد . ذلك أيضاً قد مضت عليه سنون وأعوام طويلة . أما اليوم فقد أظهرنا براءتنا من ذلك أيضاً . ومن أجل ذلك نسخنا الجهاد « رسمياً » ذلك الجهاد المقوت الذي يعمل فيه السيف عمله ، حتى لا يقلق بالكم ولا يقض عليكم المضجع . فما « الجهاد » اليوم إلا مواصلة الجهود باللسان والقلم ، وليس لنا إلا أن نلعب برهفات الألسنة وأسنة الأقلام. أما المدافع والدبابات والرشاشات وغيرها من آلات الحرب واستخدامها فأنتم أحق بها وأهلها » .

هذه مكايدهم السياسية التي كشفنا لك القناع عن بعضها في ما تقدم . لكنا إذا أنعمنا النظر في المسألة من الوجهة العلميـة ودققنا النظر في الأسباب التي أشكل لأجلها استجلاء حقيقـــة « الجهاد في سبيل الله » واستكناه سرها على المسلمين أنفسهم ، فضلاً عن غير المسلمين ، لاح لنا ان مرجع هذا الخطأ إلى أمرين مهمين لم يسبروا غورهما ولم يدركوا مغزاهما على وجه الحقيقة :—

فالأول انهم ظنوا الاسلام نحـلة بالمعنى الذي تطلق عليه كلمة « النحلة » (Relgion) عامة .

والثاني انهم حسبوا المسلمين أمة (Nation) بالمعنى الذي تستعمل فيه هذه الكلمة في عامة الأحوال .

فالحقيقة ان خطأ القوم في فهم هذين الأمرين المهمين وعدم استجلائهم لوجه الحق في هاتـين المسألتين الأساسيتين هو الذي شوّه وجه الحقيقة الناصعة في هذا الشأن وعاقهم عن ادراك مغزى « الجهاد » الاسلامي ، بل الحق ، والحق أحق أن يتبع ، ان هذا الخطأ الاساسي في فهم هاتين المسألتين قد ارخى سدوله على حقيقة الدين الاسلامي بأسره وقلب الأمر ظهراً لبطن وجعل

موقف المسلمين من العالم ومسائله المتجددة ومشاكله المتشعبة حرجاً ضيقاً لا يرضاه الاسلام وتعاليمه الخالدة .

فالنحلة[1] ، على حسب الاصطلاح الشائع عندهم، لا يراد بها إلا مجموعة من العقائد والعبادات والشعائر . ولا جرم أن النحلة بهذا المعنى لا تعدو أن تكون مسألة شخصية ، فأنت حر في ما تختاره من العقيدة ، ولك الخيار في أن تعبد بأي طريق شئت من رضيت به رباً لنفسك . وان أبت نفسك إلا التحمس لهذه النحلة والانتصار لعقيدتها فلك أن تخترق الأرض وتجوب بلاد الله الشاسعة داعياً إلى عقيدتك مدافعاً عن كيانها بالحجج والبراهين ، مجادلاً من يخالفونك فيها بمرهفات الألسنة وأسنة الأقلام . أما السيف وآلات الحرب والقتال ، فما لك ولها في هذا الشأن؟أتريد أن تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين بعقيدتك؟ وان كان الاسلام نحلة كنحل العالم ، على حسب الاصطلاح الشائع عندهم كما يزعمون ، فالظاهر انه لا شأن فيها للسيف وأدوات الحرب ، كما قالوا . ولو كان موقف الاسلام في نفس

(١) وردت في الأصل كلمة « مذهب » التي ترافقها لفظة « Relgion » في الانكليزية .

الأمر كما زعموا ووصفوا لما كان فيه مساغ للجهـاد ولم يكن من الاسلام في ورِدْ ولا صَدَر ، لكن الأمر على خـلاف ذلك ، كما سوف تعرفه في ما يأتي من البيان . وكذلك كلمة « الأمة » فما هي إلا عبارة عن طائفة من الناس متوافقة فيما بينهـا اجتمعت وتألفت وامتازت من بـين طوائف أخرى لاشتراكها في بعض الأمور الجوهريه . فالطائفة التي تكون « أمة » بهذا المعنى لا يبعثها على استخدام السيف إلا أمران : أما أن يعتدي عليهـــا ويريد أن يسلبها حقوقها المعروفة ، وأما أن تحمل هي بنفسها على طائفة أخرى لتنتزع من يدهـا حقوقهـــا المعروفة ، ففي الصورة الأولى منهما ، لها سعة في الأمر ، وهي لا تخلو من وازع خلقي يُلجئها إلى استخدام السيف والبطش بمن اعتدى عليها ، وان كان بعض المتشدقين بالأمن والسلام لا يبيح ذلك أيضاً. أما الصورة الثانية أي الاعتداء على حقوق غيرهـــا والاغارة على الشعوب والأمم من غير ما سبب ، فلا يُبيحُها غير بعض الجبابرة المسيطرين ، حتى أن ساسة الدول الكبرى كبريطانيا وأميركا أيضاً لا يقدرون أن يجترئوا على القول بجوازها .

حقيقة الجهاد :

فإن كان الاسلام نحلة كالنحل الأخرى والمسلمون أمة كغيرهم

من أمم العالم ، فلا جرم أن « الجهـــاد » الاسلامي يفقد بذلك جميع المزايا والخصائص التي جعلته رأس العبادات ودرّة تاجها . لكن الحقيقة أن الاسلام ليس بنحلة كالنحل الرائجة وأن المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم ، بل الأمر أن **الاسلام فكرة انقلابية ومنهاج انقلابي يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعـــد ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهاجه العملي** . ومن هناك تعـرف أن لفظ « المسلم » وصف للحزب الانقلابي العالمي الذي يُكوّنه الاسلام وينظم صفوفه ليكون أداة في أحداث ذلك البرنامج الانقلابي يرمي إليه الاسلام ويطمح إليه ببصره ، **والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية وادراك هذا المبتغى** .

والاسلام يتجنب الكلمات الشائعة في دعوته وبيان منهاجه العملي شأن غيره من الدعوات الفكرية والمناهج الانقلابية ، بل يؤثر لذلك لغة من المصطلحات خاصة ، لئلا يقع الالتباس بـين دعوته وما إليها من الافكار والتصورات وبين الافكار والتصورات الشائعة الرائجة . « فالجهـــاد » أيضاً من الكلمات التي اصطلح عليها الاسلام لاداء مُهمته وتبيين تفاصيل دعوته فأنت ترى أن

الاسلام قد تجنب لفظة « الحرب » وغيرها من الكلمات التي تؤدي معنى القتال (War) في اللغة العربية واستبدل بها كلمة « الجهاد » التي تؤدي معنى « بذل الجهـــد والسعي » ويرادفها كلمة (Struggle) في اللغة الانكليزية، غير أن لفظة « الجهاد » ابلغ منها تأثيراً وأكثر احاطة بالمعنى المقصود . فما الذي افضى بالاسلام إلى أن يختار هذه الكلمة الجديدة ، صارفاً بوجهه عن الكلمات القديمة الرائجة؟ والذي أراه وأجزم به أنه ليس لذلك إلا سبب واحد وهو أن لفظة ، « الحرب » كانت ولا تزال تطلق على القتال الذي يُشَبُّ لهَيبهُ وتستعر ناره بين الرجال والأحزاب والشعوب لمـآرب شخصية واغراض ذاتيـــة . والغايات التي ترمي إليها أمثال هذه الحروب لا تعدو أن تكون مجرد اغراض شخصية أو اجتماعيـــة ، لا تكون فيها رائحة لفكرة أو انتصار لمبدإ. وبما أن القتال المشروع في الاسلام ليس من قبيل هذه الحروب ، لم يكن له بد من ترك هذه اللفظـــة (الحرب) البتة . فإن الاسلام لا ينظر إلى مصلحة أمة دون أمة ولا يقصد إلى النهوض بشعب دون شعب ، وكذلك لا يهمه في قليل ولا كثير أن تملك الأرض وتستولي عليها هذه المملكة أو تلك ، وانما تهمه سعادة البشر وفلاحهم . وله فكرة خاصة ومنهاج عملي مختار لسعادة المجتمع البشري والصعود به إلى معارج

الفلاح فكل حكومة مؤسسة على فكرة غير هذه الفكرة ومنهاج غير هذا المنهاج ، يقاومها الاسلام ويريد أن يقضي عليها قضاء مبرماً ، ولا يعنيه في شيء بهذا الصدد أمر البلاد التي قامت فيها تلك الحكومة غير المرضية أو الأمة التي ينتمي إليها القائمون بأمرها . فان غايته استعلاء فكرته وتعميم منهاجه واقامة الحكومات وتوطيد دعائمها على أساس هذه الفكرة وهذا المنهاج ، بصرف النظر عمن يحمل لواء الحق والعدل بيده ومن تنتكس بذلك راية عدوانه وفساده ؟ والاسلام يتطلب الأرض ولا يقتنع بقطعة أو جزء منها ، وانما يتطلب ويستدعي المعمورة الأرضية كلها ، ولا يتطلبها لتستولي عليها وتستبد بمنابع ثروتها أمة بعينها ، بعد ما تنتزع من أمة أو أمم شتى ، بل يتطلبها الاسلام ويستدعيها ليتمتع الجنس البشري بأجمعه بفكرة السعادة البشرية ومنهاجها العملي اللذين أكرمه الله بهما وفضله بهما على سائر الأديان والشرائع . وتحقيقاً لهذه البغية السامية يريد الاسلام أن يستخدم جميع القوى والوسائل التي يمكن استخدامها لاحداث انقلاب عام شامل ويبذل الجهد المستطاع للوصول إلى هذه الغاية العظمى ، ويسمى هذا الكفاح المستمر واستنفاد القوى البالغ واستخدام شتى الوسائل المستطاعة « بالجهاد » . فالجهاد كلمة جامعة تشتمل جميع أنواع السعي

وبذل الجهد . وإذا عرفت هذا فلا يعجبك إذا قلت : ان تغيير وجهات أنظار الناس وتبديل ميولهم ونزعاتهم وأحداث انقلاب عقلي وفكري بواسطة مرهفات الاقلام نوع من أنواع « الجهاد » كما ان القضاء على نظم الحياة العتيقة الجائرة بحد السيوف وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة أيضاً من أصناف الجهاد . وكذلك بذل الأموال وتحمل المشاق ومكابدة الشدائد أيضاً فصول وأبواب مهمة من كتاب « الجهاد العظيم .

في سبيل الله :

لكن « الجهاد » الاسلامي ليس بجهاد لا غاية له وانما هو الجهاد في سبيل الله وقد لزمه هذا الشرط لا ينفك عنه أبداً . وذلك أيضاً من الكلمات التي اصطلح عليها الاسلام لتبيين فكرته وايضاح تعاليمه ، كما أشرت إليه آنفاً . وقد انخدع كثير من الناس بمدلوله اللغوي الظاهر وحسبوا ان اخضاع الناس لعقيدة الاسلام واكراههم على قبولها هو « الجهاد في سبيل الله ». وذلك ان ضيق صدورهم وعدم اتساع مجال تفكيرهم يعوقهم أن يَسْمُوا بأنفسهم فوق ذلك ويحلقوا في سماء أوسع من سمائهم . لكن الحق ان « سبيل الله » في المصطلح الاسلامي أرحب وأوسع بكثير مما يتصورون وأسمى غاية وأبعد مراماً مما يظنون بها

ويزعمون . فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاءاً لمرضاة الله ، لا تريد به مغنماً أو مكسباً في الحياة العاجلة ، فهو « في سبيل الله » في نظر الاسلام . فاذا أنفقت مما رزقك الله في وجوه الخير والبر ، تريد أن تعود عليك هذه المبَرَّةُ بشيء من المنافع الأدبية أو المادية في هذه الدار الفانية ، فليس ذلك من سبيل الله في شيء. وأما إذا أسديت إلى مسكين أو معوز معروفاً لا تريد به إلا ابتغاء وجه ربك ، فلا ريب أن ذلك عمل يُعَدُّ في سبيل الله . فهذا المصطلح الإسلامي الخاص – أي المصطلح في سبيل الله – يطلق على الأعمال التي تؤدي خالصة لوجه الله من غير أن يشوبها شيء من شوائب الاهواء والشهوات، يؤديها المرء معتقداً أن عمل الانسان لسعادة اخوانه ينيله مرضاة الله تعالى، وان غاية ما يتمناه الرجل من هذه الحياة الدنيا وما يقوم به فيها من عمل هو ابتغاء وجه ربه الأعلى ، لا غيرُ .

فما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط إلا للدلالة على هذا المعنى . فالذي يتطلبه الإسلام أنه إذا قام رجل أو جماعة من المسلمين ، تبذل جهودها وتستنفد مساعيها للقضاء على النظم البالية الباطلة وتكوين نظام جديد حسب الفكرة الاسلامية ،

فعليها أن تكون مجردة عن كل غرض ، مبرأة من كل هوى أو نزعة شخصية ، لا تقصد من وراء جهودها وما تبذل في سبيل غايتها من النفوس والنفائس إلا تأسيس نظام عادل يقوم بالقسط والحق بين الناس ، ولا تبتغي بها بدلاً في هذه الحياة الفانيـة ، ولا يكون من هم الانسان خلال هذا الكفاح المستمر والجهـــاد المتواصل لاعلاء كلمة الله أن ينال جاهاً وشرفاً أو سمعة وحسن أحدوثة ، ولا يخطرن بباله أثناء هذه الجهود البالغة والمساعي الغالية أن يسمو بنفسه وعشيرتـــه ويستبد بزمام الأمر ويتبوأ منصب الطواغيت الفجـــرة بعد ما يعزل غيره من الجبابره المستكبرين عن مناصبهم . وها هو القرآن الكريم ينادي بملء صوته :

الذِينَ آمَنوا يُقاتلُونَ في سَبِيلِ اللهِ وَالذِينَ كَفَروا يُقَاتِلونَ في سَبِيلِ الطَّاغُوتِ « النساء : ٧٦ » .

والطغيان ، حسب ما نصت عليه معاجم اللغة ، هو مجاوزة الحد ، وكل شيء جاوز المقدار والحد في العصيان ، فهو طاغ ، يقال : طغى السيل : ارتفع حتى جـاوز الحد في الكثرة ، ومنه ورد في التنزيل :

إنَّا لمَّا طَغَى المَاءُ « الحاقة : ٦٩ » . فاستعير الطغيان فيه لتجاوز الماء الحد. وكذلك إذا تجاوز الانسان الحد وعلا في الأرض يفسد فيها ويستعبد النــــاس بالقهر والاكراه ، يسلبهم حقوقهم ويحرمهم ثمرات الأرض وخيراتها ، فذلك هو « القتال في سبيل الطاغوت » الذي ندد به الله وجعــــله شعار الكفار ودَيْدَنهم . أما القتال في سبيل الله ، فهو الذي غايته أن يرفرف لواء القانون الالهي العـــادل على العالمين وتعلو كلمته في الدنيا، بحيث يتبع المقاتلُ في سبيل الله ذلك القانون العدل بنفسه وكذلك يحمل غيره من أفراد البشر على اتباعه وامتثال أوامره. وقد وعد الله الذين يقيمــون الدين ويُعلون كلمته في أرضه ولا يعتون عن أمره، شأن المفسدين المتكبرين ، وعدهم الدار الآخرة وسعادتها الأبدية ، كما قال عزّ من قائل :

تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِيْنَ لا يُرِيدُوْنَ عُلُوّاً في الأرْضِ ولا فَسَاداً ، والعَاقِبَـــةُ لِلمُتَّقِينَ « القصص : ٨٣ » .

وقد ورد في الحديث أنه قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: « الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى

مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله[1] ، وكذلك أخرج أبو داود والنسائي من حديث أبي رضي الله عنه باسناد جيد ، قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله ، قال : « لا شيء له » فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يقول « لا شيء له » . ثم قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه »[2] .

فتبين من ذلك أن الله لا يقبل من الجهاد إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم وابتغاء لمرضاته لا يشوبه شيء من الاغراض النفسية أو الطائفية والقومية ومن ههنا تعرف ما لهذا الشرط -في سبيل الله- من أهمية عظيمة في المصطلح الإسلامي، وبذلك تدرك ما في تقييد الجهاد الإسلامي بهذا القيد من بعد المرمى

(١) متفق عليه (سبل السلام شرح بلوغ المرام : ٣ ، ٦٦) ، وفي رواية عند مسلم عن أبي موسى : قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله . (الصحيح لمسلم : كتاب الامارة) .

(٢) سبل السلام : ٣ ، ٦٧ .

وسمو الغاية ، فأنت ترى أن كل حيوان خلقه الله في هذه الأرض مجتهد في سبيل نفسه، واصل ليله بنهاره لادراك غايته والوصول إلى مرماه ، لكن المسلمين – أي الحزب الانقلابي الذي يدين بالاسلام ويؤمن بمبادئه الانقلابية – يؤمنون قبل كل شيء بأهم مبادىء الاسلام الانقلابية ، بل أسسها وعمادها ، الا وهو أن ابذلوا مهجكم وأرواحكم وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل اقامة كلمة الحق وأعدوا لمنازع الشر والطغيان كل ما استطعتم من عُدّة وعتاد، تدفعونها بقوتكم حيثما كانت وتجتثون شجرة الفساد من جذورها مهما رسخت وتغلغلت عروقها في الأرض وهكذا تواصلون جهادكم « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . هذا ولا ينبغي أن تكون جهودكم ومساعيكم في سبيل مطامعكم الدنيئة او ان تكون أمة هي أربى من أمة وجنس اعلى من جنس .

الآن، وقد بينت في ما تقدم شيئاً من معنى «الجهاد الاسلامي» ومغزاه الحقيقي الذي قلما يتفطن له الناس في هذا العصر، أريد أن أصف « الدعوة الانقلابية » التي جاء بها الاسلام وتحدى بها المجتمع البشري على اختلاف العصور والأزمان ، وصفاً موجزاً مناسباً للموقف والمقام ، حتى يكون القراء على بينة من الأمر

ويعرفوا بسهولة ما في طبيعة هــذه الدعوة من نزوع إلى الجهاد وافتقار إليه ويتيسر لهم ادراك غاية « الجهاد » ومرماه .

دعوة الاسلام الانقلابية :

وقد تضمنت الآية الكريمة :

يا أيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم.. الآية (البقرة : ٢١) .

لبابَ هذه الدعوة ، دعوة الاسلام الانقلابية ، وجوهرها ، فانه لا يخاطب سكان هذه الكرة باسم العمال أو الفلاحــين أو الملاكين أو المتمولين من أصحاب المعامـل والمصانع ولا يسميهم بأسماء أحزابهم وطبقاتهم ، وانما يخاطب الاسلام بني آدم كافة ، ولا يناديهم كذلك إلا بصفة كونهم أفــراد الجنس البشري . **فهو يأمرهم أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره . وكذلك يدعوهم أن لا يعتوا عن أمر ربهم ولا يستنكفوا عن عبادته ولا يتكبروا في أرض الله بغير الحق،فان الحكم والأمر لله وحده، وبيده مقاليد السماوات والأرض** ، فلا يجوز لأحد من خلقه ، كائناً من كان ، أن يعلو في الأرض ويتكبر ويقهر الناس حتى يخضعوا له ويذعنوا لأمره وينقادوا لجبروته ،ودعوته لهم جميعاً أن يخلصوا دينهم لله وحده فيكونون سواء في هذه العبودية الشاملة ، كما ورد في التنزيل :

تَعَالَوْا إلى كلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنكُمْ أنْ لا نَعْبُدَ إلا الله ولا نُشْرِكَ به شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أرْبَاباً مِنَ دُوْنِ الله . « آل عمران : ٦٤ »

فهذه دعوة إلى انقلاب عالمي شامل ، لا غموض فيها ولا إبهام ، فانه قد نادى بملء صوته :

إنِ الحُكْمُ إلاّ للهِ . أمَرَ أنْ لا تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ ذلكَ الدّينُ القَيّمُ . « يوسف : ٤٠ »

فليس لأحد من بني آدم أن ينصب نفسه ملكاً على الناس ومسيطراً عليهم ، يأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يريد . ولا جرم أن استقلال فرد من أفراد البشر بالأمر والنهي من غير أن يكون له سلطان من الملك الأعلى هو تكبر في أرض الله بغير الحق وعتو عن أمره وطموح إلى مقام الألوهية . والذين يرضون أمثال هؤلاء الطواغيت لهم ملوكاً وأمراء ، إنما يشركونهم بالله ، وذلك مبعث الفساد في الأرض ،ومنه تتفجر ينابيع الشر والطغيان . وإذا أنعمت النظر في الأسباب التي تعدل بالإنسان عن الفطرة السليمة التي فطره الله عليها وتصرفه عن منهاج الحياة المستقيم الذي أرشده إليه ، وجدت

ان مرجعها جميعاً إلى أنهم يَنسَون الله فيُنْسَوْن حقيقة أنفسهم وذلك يستلزم أن يقوم رجال أو بيوتات أو طبقات من المجتمع - سواء من أسَرَّ القول ومن جهر به - يتبوؤون مناصب الحكم والقهر ، فتفضي بهم هذه السيطرة ان يخرجوا عن حدود الفطرة البشرية وتُسوّل لهم أنفسهم أن يستعبدوا الناس ويخضعوهم لجبروتهم قهراً ، سواء أأعلنوا بذلك أم أخفوه في ضمائرهم . هذا في جانب ، وبجانب آخر يكون من نتائج هذا الجهل والسفه وعدم معرفة الانسان لجلال الألوهية وجبروتها وجهله بقيمة المروءة والشهامة التي أودعتها الفطرة البشرية ، يكون من نتائجها أن يرضى جزء غير يسير من الناس جبروت الطغاة المستكبرين وسيطرتهم ويذعن لهم بحقهم في الأمر والنهي وينقادوا لأوامرهم خاضعين . وذلك هو أساس الفساد في الأرض ومبعث البغي والعدوان والاستغلال الممقوت ، ولذلك أتى الإسلام بنيانه من القواعد واجتث شجرته من جذورها ولم يدع في القوس منزعاً للريبة والشك . وها هو ذا يندد به في آي من الذكر الحكيم محكمة ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها : -

وَلا تُطِيعُوا المُسْرِفِيْنَ الَّذِيْنَ يُفْسِدُوْنَ في الأرضِ وَلا يُصْلِحُونَ « الشعراء : ١٥١ : ٥٢ » .

وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَه عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أمْرُهُ فُرَطاً (الكهف : ٢٨) .

ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلى الظَّالِمِينَ الذينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ وَيَبْغونَها عِوَجاً (هود : ١٨ ، ١٩) .

وهو يسائلهم : أأرْبَابٌ مُتَفَرِّقُوْنَ خيْرٌ أمِ اللهُ الواحِدُ القَهَّارُ ؟ (يوسف ٤٠) .

فإن أبيتم عبودية الله الواحد الفرد الصمد ، دانت رقابكم للطواغيت الذين علوا في الأرض وتمادى بهم الطغيان فاتخذوا من أنفسهم آلهة وأرباباً من دون الله ،ولن تتخلصوا من نير عبوديتهم أبداً ، فانهم ، لا محالة يمتلكون ناصية أمركم يعيثون في الأرض فساداً ، فان ذلك من طبيعتهم التي طبعوا عليها ، كما نطق بذلك لسان الوحي :

إنَّ المُلُوْكَ إذا دخلُوْا قَرْيَةً أفْسَدُوْهَا وَجعَلُوْا أعِزَّةَ أهلِها أذلَّةً . وكذلِك يفعلُوْن . (النمل : ٤٣)

وإذا تَولىّ سَعى في الأرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها ويُهْلِكَ

الحرْثَ والنَّسْلَ واللهُ لا يُحِبُّ الفساد . (البقرة : ٢٥)

ولا يغيبن عن بالكم في هذا المقام ان دعـــوة الاسلام إلى التوحيد وعبادة الله الواحد لم تكن قضية كلامية أو عقيـــدة لاهوتية فحسب ، شأن غيره من النحل والملل ، بـل الأمر أنها كانت دعوة إلى انقلاب اجتماعي ، أرادت في أول ما أرادت أن تقطع دابر الذين تسنَّموا ذروة الالوهية واستعبدوا الناس بحيلهم ومكايدهم المختلفة ، فمنهم من تبوأ مناصب السدنة والكهان ، ومنهم من استأثر بالملك والامرة وتحكم في رقاب الناس ، ومنهم من استبد بمنابع الثروة وخيرات الأرض وجعل الناس عالة عليهم يتكففون ولا يجدون ما يتبلغون به ، فارادت دعوة الاسلام أن تقطع دابرهم جميعاً وتستأصل شأفتهم استئصالاً . وهؤلاء تارة تسنموا قمة الالوهية جهراً وعلانية وأرادوا أن يقهروا من حولهم من الناس على أن يذعنوا لأمرهم وينقادوا لجبروتهم ، مستندين إلى حقوقهم التي ورثوها عن آبائهم أو استأثرت بها الطبقة الـتي ينتمون إليها ، فقالوا : (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ من إله غَيْري) و (أنَا ربُّكُم الأعلى) و (أنَا أحيِي وأمِيتُ) و (مَنْ أشَدُّ مِنَّا قوَّةً) إلى غيرها من كلمات الاستكبار ودعاوي الالوهية التي تفوهوا بها وتجاسروا عليها بغياً وعدوانا ، وطوراً

استعملوا جهل الدهماء وسفههم ، فاتخذوا من الاصنام والتماثيل والهياكل آلهة، يدعون الناس ويريدونهم على أداء مظاهر العبودية أمام هذه التماثيل والهياكل ، متوارين بأنفسهم من ورائها ، يلعبون بعقول الناس ويستعبدونهم لاغراضهم وشهواتهم ، وهم لا يشعرون . فيتبين من ذلك ان دعوة الإسلام إلى التوحيد واخلاص العبادة لله الواحد الاحد وتنديده بالكفر والشرك بالله واجتناب الأوثان والطواغيت ، كل ذلك كان يتنافى ويتعارض مع الحكومة والعاملين عليها المتصرفين في أمورها والذين يجدون فيها سنداً لهم وعوناً على قضاء حاجاتهم وأغراضهم . ومن ترى أنه كلما قام نبي من الأنبياء يجاهر الناس بالدعوة وخاطبهم قائلا : (يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكمْ مِنْ إلهٍ غيرُه) قامت في وجهه الحكومات المتمكنة في عصره وثار عليه جميع كانوا يستغلون خيرات البلاد ويستثمرونها ظلماً وعدواناً، خر- تقاومه وتضع في سبيل الدعوة العقبات ، وذلك ان هذه الد لم تكن مجرد بيان لعقيدة كلامية أو شرح لمسألة من مسا الالهيات ، وانما كانت نداء لانقلاب اجتماعي عالمي ، ما كان بوادره لتخفى على المستأثرين بمناصب العز والجاه ، المستبدين بمنابع الثراء من الذين يشمون رائحة الاضطراب السياسي قبل حدوثه باعوام .

خصائص دعوة الاسلام الانقلابية :

ومما لا مجال فيه المريب أن رسل الله الكرام – صلوات الله عليهم جميعاً – كانوا كلهم دعاة الانقلاب ورسل التجديد والتغيير، تجديد النظم السياسية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية وتغييرها تغييراً شاملاً، وأن النبي العربي الأمي ﷺ، سيد هؤلاء الدعاة وحامل لوائهم. لكن الذي يفرق بين هؤلاء الرسل وغيرهم من دعاة الانقلاب في العالم ويميزهم من بين أولئك تمييزاً بيناً واضحاً هو أن دعاة الانقلاب أو «الانقلابيين» حسب العرف الشائع، مهما أوتوا من سداد الرأي وثقوب الفكر ومهما بلغوا في صدق الطوية وحسن القصد، لا يمكنهم أصلاً أن يصيبوا هدف العدل الأسمى ويزنوا الأمور بالقسطاس المستقيم. وذلك انهم اما أن يكونوا قد نشأوا بأنفسهم في الطبقات المضطهدة في المجتمع أو أقاموا منتصرين للطبقات البائسة المضطهدة من حولهم، مطالبين بحقوقهم المغصوبة المهضومة، فينظرون بحكم أحوالهم إلى جميع المسائل والمشاكل بنظرة المنكوبين والطبقات البائسة المظلومة فتكون النتيجة ان نظرتهم إلى المسائل وطريق تفكيرهم في معضلات الحياة لا تبقى عادلة مبنية على موازين العدل والقسط العالمية الشاملة للناس جميعاً، فبينما تراهم يعطفون على طبقة

ويبدون لها عواطف الولاء والمناصرة ، إذا بهم يرمقون طبقة، أخرى بعين الغضب والازدراء ولا يخفون ما في قلوبهم من العداء والكره الشديد لها. فكلما تفكروا في علاج حاسم لادواء الجور والعسف والطغيان ، غلوا وجاؤوا بدواء هو أشد من ذلك الداء جوراً وأعرق منه في العسف وأكثر طغياناً ، وجملة القول انهم لا يتسنى لهم بطبيعة أحوالهم وبيئـاتهم – ولا يمكن أن يتسنى لهم – أن يطهروا قلوبهم من أدران العداء والانتقام ويزكّوا نفوسهم من شوائب الحسد والبغضاء فيضعوا نظاماً اجتماعيـاً مستنداً إلى أسس العدل وموازين الحق والقسط ، يضمن سعادة البشر أجمعين. أما الأنبياء ورسل الله الكـرام – صلوات الله عليهم وسلامه – فلا يمكن أن يتطـرق إلى دعوتهم وحركتهم الانقلابيـة شيء من عواطفهم الشخصية أو تشوب أعمالهم ومساعيهم شائبة من نوازع قلوبهم وإن اضطـُهدوا في رسالتهم وأوذوا في سبيل الحق وأصابهم وأصاب أصحابهم واتباعهم في سبيلها صنوف من الشدائد والأهـوال ، وكيف ؟ وهم قاموا برسالتهم بوحي من الله العزيز وأمرٍ من عنده ، والله تعالى شأنه وتباركت اسماؤه ، منزه عن نقائص العواطف البشرية ، ينظر إلى خلقه بنظرة واحدة ما لطبقة من البشر من دالةٍ عليه ، ولا هو ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، يشكو طبقة أو يضمر لها

ـطاً دون سائر الطبقات . فكانت رسل الله الكرام بهداية من
ـم ينظرون إلى جميع المسائل ومشاكل الحيـــاة الدنيا بعين
ـ:سانية الخالصة النقية . وكان جل همهم ومعظم تفكيرهم ماذا
ـسى أن يكون فيه سعادة الطبقات الجائرة نفسها أيضاً ،وكانوا
ـسعون دائماً وراء ايجاد نظام اجتماعي عادل ، يتمتع في دائرتـه
كل فرد بحقوقه المشروعة،متقيداً بالقيود اللازمة التي لا مندوحة
عنها ، حتى ينظم ما بين الفرد والجماعة من العلاقات على أسس
الحق والعدل،يعطي كلُّ واحد منهما نصيبه من الحقوق. وكذلك
يلتزم كل واحد منهما ما عليه من الواجبات للآخر . ومن ثم ترى
أن دعوة الرسل الانقلابية لم تتحول قط إلى نزاع وتنافس بـين
الطبقات . فانهم ما جددوا بناء الحياة الاجتماعية بأن يرفعـــوا
طبقة ويضعوا أخرى مثلها أو يُسلّطوا بعض الطبقات على بعض
في المجتمع ، كلا ، بل انهم اختاروا طريقاً وسطاً وجددوا بنيان
المجتمع على قواعد العدل والنصفة بحيث يتسنى في دائرتها لجميع
أفراد الجنس البشري أن يتمتعوا بحقوقهم الفطـــرية ويرتقوا
بأنفسهم إلى معارج السعادتين المادية والروحية .

الحاجة إلى الجهاد وغايته :

ولست في هذا المقام بصدد بيان تفاصيل هذا النظام

الاجتماعي الذي جاء به الاسلام والاحاطة بخصائصه ومزاياه ، وكذلك ليس من الميسور استيفاء الكلام عنه في ضمن هذه المقالة ، فان له موضعه ، وسنتوخى البحث فيه والاحاطة بجميع نواحيه حين سنوح الفرصة إن شاء الله تعالى . والذي أردت تبيينه والكشف عن حقيقته بمناسبة الموضوع الذي نحن بصدده الآن ، **هو أن الاسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية وجملة من المناسك والشعائر ، كما يُفهم من معنى الدين في هذه الأيام، بل الحق انه نظام كلي شامل يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاماً صالحاً ومنهاجاً معتدلاً يرى أنه خير للانسانية من النظم الأخرى ، وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان وسعادة له وفلاحاً في العاجلة والآجلة معاً .**

ودعوته في هذه السبيل ، سبيل الاصلاح والتجديد والهدم والبناء ، عامة للجنس البشري كافة ، لا تختص بأمة دون أمة أو طائفة دون طائفة . فهو يدعو بني آدم جميعاً إلى كلمته ، حتى انه يُهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله في أرضه واستأثروا بخيرات الأرض دون سائر الناس ، يهيب

بالملوك والأمراء أنفسهم ويناديهم قائلا : « لا تطغوا في الارض وادخلوا في كنف حدود الله التي حدّدها لكم وكُفّوا أيديكم عما نها الله عنه وحذركم اياه . فان أسلمتم لأمـر الله ودِنتم لنظام الحق والعدل الذي أقامه للناس خيراً وبركة ، فلكم الأمن والدعة والسلامة . فان الحق لا يعادي أحداً ، وانما يعادي الحق الجور والفساد والفحشاء وأن يتعدى الرجل حدوده الفطرية ويبتغي ما وراء ذلك مما لا حظ له فيه حسب سنن الكون وفطرة الله التي فطر الناس عليها :

فكل من آمن بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسن، يصير عضواً في « الجماعه الاسلامية » أو « الحزب الاسلامي » لا فـرق في ذلك بين الأحمـر منهم والاسود أو الغني منهم والفقير ، كلهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأمـة على أمة أو لطبقة على أخرى . وبذلك يتكون ذلك الحزب العالمي أو الأمَمي الذي سمي « حزب الله » بلسان الوحي .

وما أن يتكون هذا الحزب حتى يبدأ بالجهاد في سبيل الغاية التي أنشىء لاجلها . فمن طبيعته ومما يستدعيه وجوده أن لا يألو جهداً في القضاء على نظم الحكم التي أسس بنيانها على غير

قواعد الاسلام واستئصال شأفتها وأن يستنفد مجهوده في أن يستبدل بها نظاماً للعمران والاجتماع معتدلاً، مؤسساً على قواعد ذلك القانون الوسط العدل الذي يسميه القرآن الكريم « كلمة الله » . فان لم يبذل هذا الحزب الجهد المستطاع ولم يسع سعيه وراء تغيير نظم الحكم واقامة نظام الحق، نظام الحكم المؤسس على قواعد الاسلام ولم يجاهد حق جهاده في هذه السبيل ، فاتته غايته وقصر عن تحقيق البغية التي أنشيء لأجلها، فانه ما أنشيء إلا لادراك الغاية وتحقيق هذه البغية ، بغية اقامة نظام الحق والعدل ، ولا غاية له ولا عمل إلا الجهاد في هذه السبيل . وهذه الغاية الوحيدة التي بيّنها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ « آل عمران : ١١٠ » .

ولا يظن أحد أن هذا الحزب – « حزب الله » بلسان الوحي – مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين يعظون النـــاس في المساجد ويدعونهم إلى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات ، لا ، ليس الأمر كذلك وانما هو حزب أنشأه الله ليحمـــل لواء

الحق والعدل بيده ويكون شهيداً على الناس . ومن مهمته التي ألقيت على كاهله من أول يوم، ان يقضي على منابع الشر والعدوان ويقطع دابر الجور والفساد في الأرض والاستغلال الممقوت وأن يكبح جماح الآلهة الكاذبة الذين تكبروا في أرض الله بغير الحق وجعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله ويستأصل شأفة ألوهيتهم ويقيم نظاماً للحكم والعمران يتفيأ ظلاله القاصي والداني والغني والفقير . وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى في غير واحدة من آي الذكر الحكيم :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله « الانفال : ٣٨ » .

إلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وفسادٌ كَبِيرٌ « الانفال : ٧٣ » .

هُوَ الَّذي أرسل رَسُولَهُ بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ المُشْرِكُونَ « التوبة : ٣٣ » .

فتبين من كل ذلك ان هذا الحزب لا بد له من امتلاك ناصية

الأمر ولا مندوحة له عن القبض على زمام الحكم ، لأن نظام العمران الفاسد لا يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض ، وكذلك ليس من الممكن أن يقوم نظام للحكم صالح ويؤتي أكـله الا بعد ما ينتزع زمام الأمر من ايدي الطغاة المفسدين ويأخذه بأيديهم رجـال يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

وأضف إلى ذلك أن هـذا الحزب ، بصرف النظر عما يرمي إليه من اصلاح العالم وبث الخير والفضيلة في أنحاء الأرض كافة ، لا يقدر أن يبقى ثابتاً على خطته متمسكاً بمنهاجه ، عاملاً وفق مقتضياته ، ما دام نظام الحكم قائماً على أساس آخر سائراً على منهاج غير منهاجه . وذلك أن حزباً مؤمناً بمبدأ ونظام للحياة والحكم خاص، لا يمكنه أن يعيش متمسكاً بمبدئه عاملاً حسب مقتضاه في ظل نظام للحكم مؤسس على مبادىء وغايات غير المبادىء والغايات التي يؤمن بها ويريد السير على منهاجها . فان رجلاً يؤمن بمبادىء الشيوعية ان أراد أن يعيش في بريطانيـة أو ألمانية[١] متمسكاً بمبدئه سائراً في حياته على البرنامج الذي

(١) كتبت هذه المقالة عام ١٣٥٨هـ — ١٩٣٩م

تقرره الشيوعية ، فلن يتمكن من ذلك أبـداً ، لأن النظم التي تقررها الرأسمالية والنازية تكون مهيمنة عليه قاهرة بما أوتيت من سلطان فلا يمكنه أن يتخلص من براثنها أصلاً . وكذلك ان أراد مسلم أن يقضي حياته مستظلاً بنظام للحكم مناقض لمبادىء الاسلام الخالدة وبوده أن يبقى مستمسكاً بمبادىء الاسلام ، سائراً وفق مقتضاه في أعماله اليومية ، فلن يتسنى له ذلك ولا يمكنه أن ينجح في بغيته هذه أبداً ، لأن القوانين التي يراهـــا باطلة والضرائب التي يعتقدها غرماً ونهباً لأموال الناس والقضايا التي يحسبها جائرة عن الحق وافتئاتاً على العـــدل ، والنظم التي يعرف أنها مبعث الفساد في الأرض ، ومناهج التعليم التي يجزم بوخامة عاقبتها وسوء نتائجها ويرى فيها هلاكاً للأمة يجد كل هذه مهيمنة عليه ومسيطرة على بيئته وأهله وأولاده ، بحيث لا يمكنه أن يتخلص من قيودها وينجو بنفسه وأهله من أثرها ونفوذها . فالذي يؤمن بعقيدة ونظام ، فرداً كان أو جمـاعة ، مضطر بطبيعة عقيدته وايمانه بها أن يسعى سعيه في القضاء على نظم الحكم القائمة على فكرة غير فكرته ويبذل الجهد المستطاع في اقامة نظام للحكم مستند إلى الفكرة التي يؤمن بها ويعتقد أن فيها سعادة للبشر ، لأنه لا يتسنى له العمل بموجب عقيدته والسير على منهاجه إلا بهذا الطريق. **اذا رأيت رجلاً لا يسعى**

وراء غايته او يغفل عن هـذا الواجب ، فاعلم أنه كاذب في دعواه ولما يدخل الايمان في قلبه وبهذا المعنى ورد في التنزيل:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ . لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ « التوبة : ٤٥ » .

وأي شهادة أصدق وأي حجة أنصع وأبلغ من شهادة القرآن وحجته ؟ ففي هذه الآيات من سورة براءة قد نص القرآن الكريم على أن الذي لا يلبي نـداء الجهاد ولا يجاهد بماله ونفسه في سبيل اعلاء كلمة الله واقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه وتوطيد نظام الحكم المبني على قواعده ، فهو في عداد الذين لا يؤمنـون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ، فهم في ريبهم يترددون . وهذا هو المقياس الذي يقاس به صدق المرء في عقيدته وإخلاصه لها . **فان الذي يذعن لنظم الحكم القائمة على فكرة غير الفكرة**

التي يؤمن بها ، كأنه يعلن للناس انه كاذب في دعواه غير مخلص في عقيدته . ومن النتائج اللازمة الفطرية لهذا الخضوع والاذعان أن يتزحزح مثل هذا الرجل عن عقيدته ويتدرج إلى الانحلال عن ذلك القليل من الإيمان الذي قد يكون باقياً في قلبه بعد الاستسلام للنظم الباطلة والخضوع لها . وذلك انك باديء ذي بدء تستسلم للنظم الباطلة ، وقلبك غير مطمئن به ، ثم يأخذ قلبك يستأنس بها يوماً بعد يوم حتى تطمئن بها وتسكن إليها وتحس من نفسك ميلاً وتشوقاً إليها ، وهكذا تتدرج في الركون إليها والاستئناس بها إلى أن تكون عوناً لهم ومؤازراً في توطيد دعائم النظم الباطلة وتسيير دفة شؤونها ، حتى يأتي عليك يوم وأنت لا تضن ببذل النفوس والنفائس في سبيل إقامة صرح الآراء الباطلة وإحكام بنائها ولا تتحرج في الجهاد بنفسك وذات يدك تقويضاً لدعائم الاسلام وصداً للناس عن سبل الحق والعدل. وإذا بلغ الأمر برجل إلى هذا الحد فلا فرق بينه وبين الكافر إلا أن هذا مجاهر بعدوانه وذلك منافق مماذق يتسمى بأسماء المسلمين زوراً ورئاء الناس ويقول ما لا يؤمن به كذباً وافتراء على الله . وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في ما روي عنه :

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر

ولتأخذن يد المسيء ولتَـأطـُرنـّه على الحق أطراً ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليَـلعَننـكـُم كما لعنهم »[1].

الانقلاب العالمي الشامل :

لعلك تبينت مما أسلفنا آنفاً ان غـاية « الجهاد في الاسلام » هو هدم بنيان النـُظـُم المناقضة لمبادئه واقامة حكومة مؤسسة على قواعد الاسلام في مكانها واستبدالها بها . **وهذه المهمة ، مهمة أحداث انقلاب اسلامي عـام ، غير منحصرة في قطر دون قطر ، بل ما يريده الاسلام ويضعه نصب عينيه ان يحـدث هذا الانقلاب الشامل في جميع انحاء المعمورة** . هذه هي غايته العليا ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره ، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو « أعضاء الحزب الاسلامي » عن الشروع في مهمتهم بأحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها . أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهـــو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الارض . وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقوميـــة ، بل تدعو الناس جميعاً إلى

(١) رواه الترمذي وابو داود وابن ماجه من طـرق شتى ، راجـع تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٨٢ .

سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين ، لا يمكنها أصلاً أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر ، بل الحق انها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها ولا تغفل عنها طرفة عين . فان الحق يأبى الحدود الجغرافية ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها. فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة ويقول لها مطالباً بحقه : « ما بالكم تقولون ان القضية الفلانية حق في هذا الجانب من ذاك الجبل أو النهر مثلاً ، ثم تعود تلك القضية نفسها باطلاً بزعمكم إذا جاوزنا ذاك الجبل أو النهر بأذرع » . الحق حق في كل حال وفي كل مكان ، وأي تأثير للجبال والأنهار في تغيير حقيقته المعنوية. الحق ظله وارف وخيره عام شامل لا يختص ببيئة دون بيئة ولا قطر دون قطر. فاينما وجد الانسان مقهوراً ، فالحق من واجبه أن يدركه ويأخذ بحقه وينتصر له ، ومهما أصيبت الإنسانية في أبنائها المستضعفين ، فعلى العدل ومبادئه والحاملين للوائه أن يلبوا نداءها ويأخذوا بناصرهم حتى ينتصروا لهم من أعدائهم الجائرين ويستردوا لهم حقوقهم المغصوبة التي استبد بها الطغاة بغياً وعدواناً . وبهذا المعنى نطق لسان الوحي ، حيث ورد في التنزيل :

وَمَالَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ والمُسْتَضعَفِينَ

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا «النساء: ٧٥».

وزد على ذلك أن الأواصر البشرية والعلاقات الانسانية، على ما أثرت فيها الفوارق القوميـة والوطنية وأحدثت من نزعات الشتات والاختلاف، قد تشتمل على تلاؤم شامل وتجانس عام بين أجزائها، ربما يتعذر معه أن تسير مملكة في قطر بعينـه حسب مبادئها وخطتها المرسومة المستبينة، ما دامت الاقطار المجاورة لها لا توافقها على مبادئها وخطتها ولا ترضى بالسير وفق مناهجها وبرنامجها. **ومن أجل ذلك وجب على الحزب المسلم، حفظاً لكيانه وابتغاء للأصلاح المنشود أن لا يقتنع باقامة نظام الحكم الاسلامي في قطر واحد بعينه، بل من واجبه الذي لا مناص له منه لحال من الأحوال أن لا يدّخر جهداً في توسيع نطاق هذا النظام وبسط نفوذه في مختلف أرجـاء الأرض**. ذلك بأن يسعى الحزب الإسلامي في جانب وراء نشر الفكرة الإسلامية وتعميم نظرياتها الكاملة ونشرهـا في أقصى الأرض وأدناها ويدعو سـكان المعمورة على اختلاف بلادهم وأجناسهم وطبقاتهم أن يتلقوا هذه الدعوة بالقبول ويدينـوا بهذا المنهاج الذي يضمن لهم السعادتين سعادتي الدنيا والآخرة،

وبجانب آخر يشمر عن ساق الجدّ ويقاوم النظم الجائرة المناقضة لقواعد الحق والعدل بالقوة ، إذا استطاع ذلك وأعد له عدته ، ويقيم مكانها نظام العدل والنصفة المؤسس على قواعد الاسـلام ومبادئه الخالدة التي لا تبلى ولن تبلى جدتها على مرور الأيام والليالي .

هذه هي الخطة التي سلكها وهذا هو المنهاج الذي انتهجه النبي ﷺ ومن جاء بعده وسار بسيرته من الخلفاء الراشدين . فأنهم بدؤوا ببلاد العرب التي أشرقت شمس الاسلام من آفاقها وأخضعوها أولاً لحكم الاسلام وأدخلوها في كنف المملكـة الإسلامية الجديدة ، ثم دعا النبي ﷺ الملوك والامراء والرؤساء في مختلف بقاع الأرض إلى دين الحق والاذعان لأمر الله. فالذين آمنوا بهذه الدعوة انضموا إلى هذه المملكة الاسلامية وأصبحوا من أهلها . والذين لم يلبوا دعوتهـا ولم يتقبلوها بقبول حسن ، شرع في قتالهم وجهادهم . ولما استخلف أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى ، حمل على المملكتين المجاورتين للمملكة الاسلامية ، مملكتي الروم والفرس اللتين بلغ من عتوّهما وتماديهما في الغيّ والاستكبار في الأرض ما طبقت شهرته الآفاق . وبلغت هذه الحملات التي بدأ بها الصديق رضي

الله عنه غايتها في عصر الفاروق الذي يرجع إليه الفضل العظيم في توطيد دعائم المملكة الاسلامية الأولى ، حتى شمل ظلها الوارف تلك الأقطار جميعاً .

هذا ، وقد ظن الجمهور من سكان مصر والشام وبلاد الروم والفرس في أول الأمر أن هذه الحملات المتتابعة من العرب وهذه الفتوحات العظيمة التي زادت العرب مجداً وأبهة ، إن هي إلا من قبيل خطة الاستعباد والاستعمار ، قد اختارها العرب وجعلوها شعارهم وديدنهم ، شأن الأمم الجائرة التي سبقتهم في غابر الازمان . فقد خيل إليهم بادىء ذي بدء ان مثل العرب في هذه الفتوحات والغزوات كمثل الأمم من قبلهم ، خرجت من أرضها تستعبد الشعوب المستضعفة وتسوقهم بعصا القهر والعنف وتتصرف في رقابهم وأموالهم تصرف راعي الإبل في ماشيته ومن ثم ترى أنهم انضووا في أول الأمر تحت لواء ملوك الروم والفرس وتجندوا في جيوشهم وبرزوا للقاء المسلمين وقتالهم . ولكنهم لما تبين لهم أمر المسلمين وما خرجوا من ديارهم لأجله وعرفوا منهاج الانقلاب الشامل الذي يريدون تعميمه ونشر كلمته في أقطار الأرض كافة ، لما ظهر لهم أن هؤلاء العرب لا يقولون بالقومية الجائرة وأنهم ما تدنست اذيالهم بأرجاس

الاغراض القومية ، وأنهم مانزحوا من بلادهم إلا لاقامة نظام للحكم مؤسس على قواعد العدل والنصفة وانهم ما استلّوا السيوف من أغمادها إلا للقضاء على الطبقات الغاشمة الجائرة التي استبدت بموارد الثراء والرخاء من دونهم وسامتهم أنواع الخسف والعذاب المهين تحت حماية النظم الكسروية والقيصرية وتبوأت مناصب الالوهية عتواً واستكباراً في الأرض ، لما تبين لهم كل ذلك وشاهدوا حال الغزاة الفاتحين بأعينهم وتجلت لهم أخلاقهم الزكية الطاهرة ، مالوا بطبعهم إلى الحزب الاسلامي وبدؤوا يتسللون من جيوش الروم والفرس . وان اضطروا بعد ذلك إلى القتال في صفوفهم أو ألجأتهم الأحوال إلى ذلك . ومن ههنا تعرف السبب الذي ساعد المسلمين على الانتصارات الباهرة والفتوح العظيمة التي أحرزوها في أول عهدهم بالحروب والغزوات ، من أجل ذلك ترى أنه لما رأى سكان هذه البلاد المملكة الاسلامية تسير وفق مبادئها على قوانين العدل والنصفة وشاهدوا نظام الاسلام الاجتماعي يعمل عمله على مرأى ومسمع منهم وعاينوا ما أجدى به ذلك النظام على بلادهم من الرفاهية والطمأنينة جعلوا يُلبون دعوته ويدخلون زرافات ووحدانا في نظام ذلك الحزب العالمي وينضوون تحت لوائه ، إلى أن حملوا بأنفسهم تلك الراية ، راية الاصلاح الشامل والانقلاب العالمي ، وتقدموا إلى مختلف أقطار

العالم النائية ، يدعون أهلها الى الدخول في كنف ذلـك النظام الكافل لسعادة البشر والتمتع بخيراته وثمراته .

لا مساغ لتقسيم الجهاد الى الهجومي والدفاعي .

هذا ، وإذا تدبرت ما بينته آنفاً وسبرت غوره ؛ ظهر لك جلياً أن ما اصطلحوا عليه اليوم من تقسيم القتـال الى الهجومي (Offencive) والدفاعي (Defensive) ، لا يصح اطلاقـه على الجهاد الاسلامي البتة . وانما يصدق هذا المصطلح على الحروب القومية والوطنية فقط ، لأن هاتين الكلمتين المصطلح عليهما لا ينطق بهما وما جرى استعمالها إلا بالنسبة إلى قطر مخصوص او أمة بعينها . واما إذا قام حزب عالمي مستند الى فكرة انقلابية شاملة لا تفرق بين أمـــة دون أمة ولا تخص قطراً دون قطر ، يدعو جميع الأمم والشعوب على اختلاف أجناسها ولغاتهـا الى فكرته ومنهاجه ، مفتوحة أبوابه لكل من يريـد المشاركة في بث تلك الدعوة ونشر تلك الفكرة، ولا يسعى إلا وراء القضاء على الحكومات الجائرة المناقضة لمبادىء الحق الخالدة وإقامـــة حكومة صالحة مؤسس بنيانها على قواعد الحق والعدالة التي يؤمن بها ويدعو اليها ، أما إذا كان الأمر كذلك فلا مجال في دائرته

البتة لما اصطلحوا عليه من نوعي القتال الهجومي والدفاعي . وكذلك اذا نظرنا في المسألة بصرف النظر عن هـذا المصطلح الشائع ، تبـين لنا أنه لا ينطبق هذا التقسيم – الى الهجومي والدفاعي – على الجهاد الاسلامي بحال من الأحوال ، فان الجهاد الاسلامي ، إذا اردت الحقيقة ، هجومي ودفاعي معاً ،هجومي لأن الحزب الاسلامي يضاد ويعارض الممالك القائمة على المبادیء المناقضـة للاسلام ويريد قطع دابرها ولا يتحرج في استخدام القوى الحربية لذلك. وأما كونه دفاعياً فلأنه مضطر الى تشييد بنيان المملكة وتوطيد دعائمها حتى يتسنى له العمل وفق برنامجه وخطته المرسومة . وغير خاف عليـك ان الاسلام حزب (party) فليس له من هذه الوجهة دار محدودة بالحـدود الجغرافية ، يذود ويدافع عنها ، وانما يملك مبادیء واصولاً يذب عنها ويستميت في الدفاع عنها . وكذلك لا يحمل على « دار » الحزب الذي يعارضه ويناقضه ، وانما يحمل ويصول على المبادیء التي يتمسك بها ولا يغيبن عن بالك انه لا يريد بهذه الحملة أن يكره من يخالفه في الفكرة على ترك عقيدته والايمان بمبادیء الاسلام ، وانما يريد الحزب الاسلامي ان يُنتزع زمام الامر ممن يؤمنون بالمبادیء والنظم الباطلة حتى يستتب الأمر

لحمَلة لواء الحق ولا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

حقوق أهل الذمة :

ومن ههنا تنحل عقدة أخرى طالما استعصى على الناس حلها وأشكل عليهم أمرها . وذلك ان ما تقدم آنفاً من خصائص الجهاد الإسلامي وبيان مزاياه ، يتضح به جلياً ما يمكن أن يكون من الحقوق في ضمن نطاق المملكة الاسلامية للذين لا يؤمنون بمبادئها ، بل يدينون بمبادىء أخرى غيرها . فالجهاد الاسلامي لايتعرض لعقائد الناس ومناسكهم او مناهج شؤونهم الاجتماعية التي اختاروها وآثروها لأنفسهم ، فلهم الخيار في ان يدينوا بما شاؤوا من العقائد ولهم الحرية التامة في ان يختاروا ما استحسنوه من المناهج . لكنه لا يرضى ان تكون لهم الحرية في تسيير دفة الحكم على منهاج ما أنزل الله به من سلطان . وكذلك لا يسمح لهم ولا يعترف لهم بحق في أن تسير عقودهم ومعاملاتهم في دائرة المملكة الاسلامية على الطرق الفاسدة التي هي شر على المجتمع ، وفيها خراب للعمران ، وان كانوا قد تعودوها من قبلُ . خذ لذلك مثلاً الربا ، فانه لا يلبث أن يتولى الحزب الحكم ويقبض على ناصية الأمر حتى يأمر بالقضاء عليه واستئصال شأفته وإيصاد جميع الأبواب التي يخشى منها الوصول إليه . وكذلك لا

يبيح القمار ، كائناً ما كان ، ولا يسمح للناس بأن يتعامـــلوا ويتعاقدوا بالطرق الفاسدة المحظورة في الشرع ، دع عنك دور البغايا والمومسات ، فان الحكم الاسلامي يأتي بنيانها من القواعد ويقضي عليها في أول ما يقضي عليــه من الموبقات الاجتماعية . وعلى غرار ذلك يُكره غير المسلمات من النساء على التزام آداب الحياء والحشمة ويمنعهن من تبرج الجاهلية ويجبرهن على التقيـــد بالقيود اللازمة التي قررهــــا الشرع في ستر عورات النساء . وكذلك يراقب دور السينما والملاهي ويطهرهـــا من أرجاس الخلاعة والفجور ويوجهها وجهة الخير والرشاد ، هذه وأمثالها من الشؤون الاجتماعية وغيرها ، لا تسمح بها المملكة الإسلامية حفظاً لمصالح المجتمع البشري وسعادته ، بل ضناً بكرامتهـــا وحرصاً على المحافظة على خصائصها ومقوماتها ، لا تسمح لرعيتها من غير المسلمين أن يجروا على سننهم وتقاليدهم التي يعدها الاسلام خطراً على المجتمع ومبعث شر وفساد للانسانية ، وان أمكن أن لا يكون فيها غضاضـــة في شرائعهم ولا يجدون في أنفسهم حرجاً من التعامل بها حسب عاداتهم وتقاليدهم .

والذي يظهر له في بادىء الرأي أن الاسلام قد جاوز في هذا الباب حدود التسامح واختار طريق الاضطهاد والتضييق ، فما

أجدر به أن يوازن بين ما عامـــل به الاسلام من التسامح وما عاملت به غيره من المذاهب الانقلابية أو الاصلاحيه مخالفيها ، فان هذه الموازنة تظهر له الأمر الصراح وتبين الفرق العظيم الذي يجده بين الاسلام وغيره من المذاهب والنظريات في هذا الشأن فانه يرى ان المذاهب الانقلابية والاجتماعية الأخرى غير الاسلام قد بلغت من الاضطهاد والتضييق مبلغاً يكاد يضيق به ذرعــاً من يخالفها في الفكر والرأي ، حتى أنهم لا يرون لهم ملجــأ إلا في الجلاء عن أوطانهم والتشرد في آفاق الأرض، أما الاسلام فبازاء هذه المعاملة الشنيعة يضمن السلامة والدعة لكل فرد من أفراد البشر ، كائناً من كان ويهيىء لهم فرص الرقي والازدهــار في كل ناحية من نواحي الحياة ويعاملهم بالحسنى مما لا تجـد ولن تجد له نظيراً في العالم .

لا استعمار ولا استغلال :

ومما يجب علي أن أعيد ذكره في هذا المقام ان « الجهاد » في نظر الاسلام لا يكون إلا « في سبيل الله » وابتغــاء وجه الرب تعالى وحده . فلا يجوز للمسلمين أبــداً أن يحذوا حذو الملوك المستبدين والطغاة المستكبرين إذا أنعم الله عليهم بالنصر والفتح

في جهادهم وغزواتهم . فان المسلم لا يقاتل ، ولا يجوز له أن يقاتل وهو مسلم، ليتبوأ عرش الكسروية ويسخر البلاد والرقاب لمآربه ويرخي لنفسه العنان يعيش في رغد وينغمس في الملذات والشهوات ، شأن الطغاة المستكبرين الذين يستغلون خيرات الأرض لاغراضهم ويتخذون من عباد الله المستضعفين مطية لاهوائهم وشهواتهم . لا ، والله ما ذلك من الجهاد في سبيل الله في شيء . وانما هو القتال في سبيل الطاغوت، والاسلام يتبرأ من مثل هذا الجهاد وأمثال تلك الحكومات الغاشمة . أما الجهاد الاسلامي فلا يزيد المسلمين إلا صبراً على المكاره وزهداً في متع الدنيا ولذائذها ، وفوق ذلك يكلفهم المشاق البالغة ويروضهم على بذل النفوس والنفائس والتجرد من مطامع الدنيا وشهواتها في سبيل الله . وإذا أنعم الله على المسلمين بالفتوح وأيدهم بنصر من عنده فامتلكوا ناصية الأمر ودانت لهم الرقاب ، فلا تسل عما يحسه من يتولى الحكم من بين المسلمين الصادقين من ثقل المسؤولية وعبء الأمر، فانه ربما تمضي عليه أسابيع وشهور لا يتمتع في النهار بالراحة ولا يذوق لذاذة الكرى في الليالي حرصاً على مصالح الرعية وتفقداً لأحوال العجزة المستضعفين منهم. وزد على ذلك أن الأمير المسلم لا يجوز له أبداً أن يتمتع بلذائذ الحياة

الشهية ويتنعم بأبهة الملك وفخفخة الامارة ، مكافأة على الجهود التي يبذلها في اصلاح شأن الملك ومراقبة نظم الحكومة العديدة المتشعبة ، مع أن الحكومات في الدنيا لا يتهافت الناس عليها وعلى التدخل في ادارتها وتسيير شؤونها إلا حرصاً على تلك الأبهة والفخفخة ولذائذ الحياة ومتعها . فالذي يتولى الأمر من بين المسلمين لا فضل له على سائر رعيته إلا بالتقوى ولا سلطان له عليهم إلا بأمر من الله ورسوله ، فليس له أن يتبوأ عرش العظمة والجلالة ويتظاهر بعلو شأنه وارتفاع منزلته ولا يجوز له أن يخضع رقاب الناس ويجعلهم يذعنون لجبروته ، وكذلك ليس في مكنته أن يتقدم خطوة في طريق يعارض الطريق الذي اوضحت معالمه الشريعة الغراء ويحرك ساكناً من غير مستند من كتاب الله وسنة نبيه، ولا يقدر أن يعفى نفسه أو أحد أصدقائه وذوي قرباه من حق يجب عليه أداؤه لأي رجل ، مهما يكن حقيراً أو صغيراً في المجتمع ، وأيضاً لا يسوغ له أن يأخذ حبة من خردل أو يمتلك شبراً من أرض من غير أن يكون له حق فيها . وحرام عليه أن يأخذ من بيت مال المسلمين ما يفضل – ولو قليلاً – عما يقوم بأود حياة رجل من أوساط الناس . والمسكين – وما أحراه أن يسمى مسكيناً ، وأي رجل أحق

بالشفقة وأقرب إلى « المسكنة » من الذي يتولى أمر المسلمين وهو محاط بهذه القيود الثقيلة- ليس له أن يشيد الأبنية الشاهقة ولا يباح له أن يتبسط في المعيشة أو يأخذ حظه من نعيم الحياة وبُلَـَهنِيَة العيش ، فإنه ما كان له أن يذهل عن واجباته ولو لمحة واحدة ، ولا يسعه أن يغفل ، ولا طرفة عين ، عن اليوم الذي يحضر فيه بين يدي ربه ويحاسب على أعماله حساباً عسيراً. وهذا الشعور بالمسؤولية وهذه الخشية الالهية ، هي التي تملك عليه نفسه وأهواءه وتشرف عليه في غدواته وروحاته . فان الحاكم المسلم يرى ويعتقد انه محاسب بين يدي ربه على جميع أعماله ، جليلها وحقيرها ، كبيرها وصغيرها ، فكأني به يتفكر في نفسه : ماذا يكون من أمري في ذلك اليوم العسر إذا خنتُ اليوم أمانة أو اقتطعت ذراعاً من أرض أو تكبرت في أرض الله بغير الحق وظهرت مني بوادر الظلم والعسف أو خالطت أعمالي شوائب الاثرة واتبعت الهوى في ما أقوم به من عمل ، يتفكر في هذه كلها ، فيرتدع عنها ويمتنع خوفاً على نفسه من سخط الله وغضبه . وأيم الحق ان الذي يطمع في الدنيا والتمتع بما فيها من لذات الحياة وأسباب العيش الرغيد ، لا يتجاسر أبداً على أن يتولى أمر المسلمين بيده . وإذا رأيت

أحداً يجترىء على ذلك، وبه من طمع الدنيا والافتنان بزخارف الحياة العاجلة ما لا يطيق دفعه ، فاعلم أنه أخرق قليل العقل لا يعرف ما هو مقبل عليه ولا يدري ما هو بصدده ، لأن رجلا من عامة رجال المسلمين يكسب رزقه بصناعة أو تجارة ، كيفما كانت ضئيلة،هو أحسن حالاً وأرغد عيشاً من ولي أمر المسلمين، فانه يشتغل في نهاره ويكسب أكثر مما يعطي خليفة المسلمين من بيت مال الحكومة ، وينام ملء جفونه طوال الليـــل ، لا يُقِضُ عليه مضجعه شيء . وأما الخليفة المسكين ، فلا حظ له من أسباب المعاش كحظ التاجر أو العامل ولا يتاح له أن يذوق لذاذة الكرى كعامة الرجال .

هذا هو الفرق الجوهري أو الأساسي بين الحكومة الاسلامية وغيرها من الحكومات . فان الطبقة الحاكمة في الحكومات غير الاسلامية تستبد بموارد الثراء وتستغل خيرات الأرض لمآربها وتتبوأ عرش الالوهية في أرض الله طغياناً و كفراً. أما الحكومة الاسلامية فهي بعكس هاتيك الحكومات الجائرة ، فان الطبقة الحاكمة في الحكومة الاسلامية ، لا يكون من همها إلا اسداء المعروف إلى الرعية والترفيه عنهم من غير فـــرق بين عامتهم وخاصتهم ولا تجعل نصيبها من موارد الدولة إلا كنصيب عامة

الناس . وإذا وازنت بين ما كان يمنح عمال الحكومة الاسلامية أو قضاتها وولاتها من الجرايات الشهرية وبـــين ما كان يعطى أمثالهم من الحكومات المعاصرة لها من الرواتب الضخمة أو ما يناله موظفو الحكومات المستعمرة الحاضرة من المرتبات الباهظة تبين لك ما بين غزوات الاسلام وفتوحه وبين جشع التسلطية وخطتها الاستعمارية من الفوارق الروحية والجوهرية العظيمة . فما كان لولاة المقاطعات الكبيرة أمثال خراسان والعراق والشام ومصر في الحكومة الاسلامية من الرواتب ما يناله اليوم موظف حقير في الحكومات الحاضرة . وناهيك مثلا بأمير المؤمنين أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ فانه كان يدبر شؤون مملكة واسعة ، وله من بيت مال الحكومة ما لا تزيد قيمته على مائة روبية شهرياً ، وكـذلك الفاروق عمر بن الخطـاب ، فما كان يأخذ لقوته وعياله أكثر من مائة وخمسين روبيـة شهرياً ، مع أن خزانة المملكة في عهده تكاد تغص بما كان ينهال عليها من موارد الغنيمة وجبايات الارض ممـا أنعم الله عليهم بالفتوح الباهرة في أراضي الروم وبلاد فارس . فالذي يظهر لأول وهلة ان الاسلام ايضاً يفتح الفتوح ويدوخ الأمصار والبلاد كالتسلطية والاستعمار ، ولكن شتان ما بينهما في الجوهر والمبدأ والغاية :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيد سليم والأغر بن حاتم

وأين الثرى من الثريا والأرض من السماء ؟

هذه هي حقيقة « الجهاد » الذي أبدؤا وأعادوا في تشويه سمعته وتحريف كلمته والذي طالما سمعتم فيه شيئاً كثيراً . فان قلتم : فأين الاسلام الذي بينت خصائصه في ما تقدم ؟ وأين « الحزب الاسلامي » الذي فصلت القول في مقوماته وواجباته؟ وفي أي أرض دفن تصور الجهاد الحقيقي الذي كشفت الغطاء عن وجهه آنفاً ؟ وما بالنا نجد بلاد المسلمين كلها خلواً من هذه الفكرة وذلك التصور الأسمى ؟ قلت : الذنب ليس بذنبنا والتبعة في ذلك ليست علينا . انما الذنب ذنب الذين حادوا بالمسلمين عن الصراط السوي وهدفهم الحقيقي، وعللوهم بالتعاويذ والتمائم والسبحات والرياضات ، والذين منوا المسلمين بالأباطيل والترهات ووعدوهم بطرق للنجاة سهلة تريحهم من أهوال الجهاد وشدائد الكفاح، فألجأوهم إلى قبور وزوايا ليتوسلوا بها وبرجالها إلى الغاية المنشودة من السعادة الأبدية ، والتبعة على الذين شغلوهم عن أصول الاسلام ومبادئه الكلية الشاملة وصرفوا بأبصارهم إلى مسائل من فروع الفقه لا تنقع من صدى ولا تسمن من جوع في حل قواعد الاسلام ، حتى نسوا ما خلقوا لأجله

وذهلوا عن الغاية السامية التي يدعو إليهـا الاسلام وجعلوها نسياً منسياً . وان اردت الاستزادة من اسبـاب تقلص ظل الاسلام وضؤولة نفوذ الحزب الاسلامي اليوم ، فارجع ببصرك إلى الأمراء والزعماء والقواد الذين يظهرون إيمانهم بكتاب الله وبرسوله ﷺ ، ولكنه مما يؤسف له انهم لا يرون من حـق الكتاب العزيز والشريعة التي جاء بهـا النبي الأمي العربي ﷺ على أنفسهم غير أن يشتركوا في حفلات المولد النبوي تارة وأن يدعو تارة أخرى بعض حفاظ القرآن ليقرأوا ختمة أو ختمتين في بيوتهم ترفيهاً عن أرواح ذوي قرباهم، وان سمت بهم أنفسهم، ألقوا خطباً في تمجيد الاسلام والثناء على تعاليمه ، كما يثني الناس اليوم على الشعراء ويكيلون لهم المدح جزافاً أما العمل بهـذه الشريعة والسعي وراء تنفيذها في العالم، فليسوا من ذلك في ورد ولا صدر ، بل يحسبون أنفسهم كأن الله لم يكلفهم بشيء مـن ذلك. وان نفوسهم غير مستعدة أصلا للتقيد بهذه القيود وتحمل أعباء هذه المسؤوليات التي كلف الله بها عباده والتي يلقيها الاسلام على الذين يؤمنون به ويدعون اتباعه ، فانهم يتمنـون حياة رغيدة ويبتغون طريقاً للنجاة سهلا .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين



النادي الشبابي

رسالة الجهاد

للإمام الشهيد حسن البنا

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه ومن جاهد في سبيل شريعته إلى يوم الدين .

الجهاد فريضة على كل مسلم

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها ، ورغب فيه أعظم الترغيب ، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ، فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمـل بمثل عملهم ومن اقتـــدى بهم في جهادهم ، ومنحهم من الامتيازات

الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنحها سواهم ، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى ، وتوعد المخلّفين القاعدين بأفظع العقوبات ، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ، ووبخهم على الجبن والقعود ، ونعى عليهم الضعف والتخلف ، وأعد لهم في الدنيا خزيـــاً لا يرفع إلا إن جاهدوا ، وفي الآخرة عذاباً لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهباً ، واعتبر القعود والفـــرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات .

ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه ، وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم ﷺ فياضـة بكل هذه المعاني السامية ، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات .

وسنورد لك طرفاً من ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقراء والحصر ، وسوف نتناول شيئاً من الآيات والأحاديث

بشرح أو تعليق طويل ، فسترى في جـــزالة ألفاظها ونصاعة بيانهـــا ووضوح معانيها وقوة الروحانية فيها ما يغنيك عن ذلك كله

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :

بعض آيات الجهاد في كتاب الله

١ - « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » .

سورة البقرة الآية ٢١٦

ومعنى كتب : فرض . كما قال تعـــالى : « كُتِبَ عليكم الصيام » في نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب .

٢ - « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَـــرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْـــدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي

قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ »

آل عمران الآيات من ١٥٦ – ١٥٨

ومعنى ضربوا في الأرض : خرجوا فيها مجاهدين ، وغزّاً : غزاة محاربين .

وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى وإلى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد ، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين ، فانظر كيف انعكست الآية .

٣ – « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

الآيات آل عمران ١٦٩ – ١٧٥ فارجع إلى تمامها في المصحف

٤ - « فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً » .

سورة النساء الآيات ابتداء من ٧١ – ٧٨

فارجع إليها في المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر وممارسة القتال في جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال ، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين ، وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين ، وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلها من أركان الإسلام ، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جريء ، مبينا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلا من نفقة أو تضحية .

٥ – سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه وبيان لكثير من أحكامه ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيداً حربياً يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي

الوطيس ، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » .

٦ – سورة التوبة وكلها كذلك حث على القتال وبيان لأحكامه وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى في قتال المشركين الناكثين : « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

وقوله تبارك وتعالى في قتال أهل الكتاب :

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » . ثم إعلان النفير العام في آيات داوية

صارخة ختامها قوله تعالى: «انفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجَاهِدُوا بأمْوَالكم وأنفُسكم في سَبيل الله ذلِكُم خَيْرٌ لكُم إن كُنتُم تَعْلمُون» ثم تنديد صارخ بموقف القـــاعدين الجبناء الأنذال وحرمانٌ لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين في قوله تعالى:

«فَرِحَ المُخَلَّفون بِمَقْعَدِهِم خِـــلافَ رَسُولِ الله وَكَرِهُوا أن يُجاهدُوا بأمْوَالِهم وأنْفُسهم في سَبيلِ الله وَقالوا لا تَنفِرُوا في الحَرّ قُلْ نارُ جهنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحكُوا قَليلاً وَلْيَبْكُوا كَثيراً جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُون، فَإنْ رَجَعَكَ الله إلى طائِفَةٍ منهُم فاستأذنُوكَ للخرُوج فقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبداً وَلَنْ تُقَاتِلوا مَعِي عَدُوّاً إنكُم رَضِيتُمْ بالقعُودِ أوّلَ مَرّةٍ فاقعُدُوا مَعَ الخَالِفين»

الآياتْ

ثم إشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم ﷺ وبيان أن هذه هي مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين في قوله تعالى: «لكِنِ الرسُولُ والذِينَ آمنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأمْوَالِهِم وَأنفُسهم وَأولئِكَ لهُمُ الخَيرَاتُ وَأولئِكَ

هُمُ المُفْلِحُونَ ، أَعدَّ اللهُ لَهُمْ جنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ » .

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذراً لمعتذر في قوله تعالى: « إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَموَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلونَ في سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلونَ وَيُقْتَلونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً في التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الذي بَايَعْتُمْ به وذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ».

٧ – سورة القتال – وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى (سورة القتال) في كتاب الله الحكيم – وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران : الطاعة والنظام . وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه ، فأما الطاعة ففي هذه السورة في قوله تعالى :

« وَيَقولُ الذينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فإذا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القتَالُ رَأَيْتَ الذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إليكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ

مِنَ المَوْتِ فأوْلَى لَهُمْ طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فإذا عَزَمَ الأمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْراً لهمْ ». وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى :

« إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذينَ يُقاتِلونَ في سَبِيلِه صَفّاً كأنهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ ».

٨ – سورة الفتح وهي أيضاً كلها في غزوة من غـزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز تحت ظل الشجرة المباركة حيث أعطيت بيعة الثبات والموت، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى:

« لقد رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤْمِنِينَ إذْ يُبايعُونك تحتَ الشَّجرَةِ فعَلِمَ ما في قلوبهمْ فأنزَلَ السَّكِينَةَ عَليهم وَأثَابهم فتْحاً قريباً وَمَغانمَ كثِيرَةً يأخُذونها وكان الله عزيزاً حكيما ».

هذه يا أخي بعض المواضع التي ورد فيها ذكر الجهاد وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل ، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من

هذا الباب تر العجب العجيب وتدهش لغفلة المسلمين عـن اغتنام هذا الثواب .

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك :

نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه مـا تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيـــده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » رواه البخاري ومسلم .

السرية : القطعة من الجيش لا يكون فيها قائده العام .

٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم من يُكْلَمُ في سبيله إلا جاء يوم القيامـــة اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

الكَلْم : الجرح . ويُكْلَم : يجرح

٣ – وعن أنس رضي الله عنه قال : « غاب عمي أنس بن النضْر عن قتال بدر فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلْتَ المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضْر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. » إلى آخر الآية . رواه البخاري .

من دون أحد : أي من جهة جبل أحد .

٤ – وعن أم حارثة بنت سراقة أنها أتت النبي ﷺ فقالت : « يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قبيل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك

اجتهدت عليه في البكاء . قال : يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » أخرجه البخاري .

السهم الغرب « الذي لا يُعرَفُ راميه .

اجتهدت عليه في البكاء : بكيت بكاء شديداً .

فانظر يا أخي كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره .

٥ – وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » أخرجه الشيخان[١] وأبو داود .

٦ – وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من جهز غازياً في سبيل الله تعالى فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي .

---

(١) البخاري ومسلم وهما أوثق كتابين في الحديث .

أي : له أجره .

٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة » رواه البخاري .

ومثل الفرس كل عدة في سبيل الله .

٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد » الستة[١] إلا أبو داود .

٩ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو

---

(١) كتب الحديث الستة هي : البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وابو داود .

على قدمه حتى يأتيه الموت وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه » رواه النسائي .

لا يَرْعَوِي : أي لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر .

١٠ — وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى » الترمذي .

١١ — وعن أبي عميرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل المدَرِ والوَبَرِ » أخرجه النسائي .

أهل الوبر والمدر : أي أهل الحواضر والبوادي .

١٢ — وعن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ . فقال : « كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة » أخرجه النسائي .

وهذه من امتيازات الشهيد في الموقعة وكم له من امتيازات كهذه ستأتي بعد فاستمع .

١٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » الترمذي والنسائي والدارمي وقال الترمذي حسن غريب .

وهذا امتياز آخر للشهيد .

١٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه ، فيقول الله للملائكة انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى أريق دمه أشهدكم أني قد غفرت له » .

شفقا : خوفا . وأريق دمه : سال دمه .

١٥ - وعن عبد الخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ يقال لها أم خلاد وهي متنقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله تعالى فقال لها بعض أصحابه : جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة فقالت : إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي . فقال لها النبي ﷺ :

« إن ابنك له أجر شهيدين » قالت ولم ؟ قال : « لأنه قتله أهل الكتاب » أخرجهما أبو داود .

أرزأ ابني : أفقده وأصاب فيه .

وفي هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم ، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم .

١٦ – وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » أخرجه الخمسة[١] إلا البخاري .

١٧ – وعن خريم بن فاتك قال قال رسول الله ﷺ : « من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي .

١٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته

---

(١) مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هـــذا الشعب فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامـاً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا في سبيل الله ، من قاتـل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » رواه الترمذي .

عيينة : عين صغيرة تفيض بالماء .

١٩ – وعن المقدام بن معـــد يكرب قال قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعـة ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه » رواه الترمذي وابن ماجه .

٢٠ – وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة » رواه الترمذي وابن ماجه .

٢١ – عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه » رواه مسلم .

٢٢ – وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها » رواه ابن ماجه .

٢٣ – وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه » رواه ابن ماجه .

يسدر : يميل ويهتز وترتج به السفينة . وفيه الإشارة بغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافاً مضاعفة .

٢٤ – وعن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه يقول : لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ : « يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت : بلى قال : ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً

فقال يا عبدي تمن على أعطك . قال يا رب تحييني فأقتـل فيك ثانية . قال : إنـــه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله عز وجل هـذه الآية : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً .. الآية كلها » رواه ابن ماجه .

٢٥ – وعن أنس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله فأكففه على رحله غدوة أو روحة أحب إلي من الدنيا وما فيهـــا » رواه ابن ماجة .

فأكففه على رحله : فأساعده عليه . غدوة بالغدو وهـــو الصباح . روحة : في الرواح وهو المساء .

٢٦ – وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وفد الله ثلاثة : الغازي والحاج والمعتمر » رواه مسلم .

٢٧ – وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته» رواه أبو الدرداء .

٢٨ – عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « إذا

تبايعتم بالنسيئة وأخـــذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم .

٢٩ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض . قال عمير بن الحمام : بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال : « فإنك من أهلهـا » قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنهـا لحياة طويلة فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل» رواه مسلم.

٣٠ – عن أبي عمران قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيـــده إلى التهلكة . فقام أبو أيوب

الأنصاري فقال : أيها الناس أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو . فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم رواه الترمذي .

ولاحظ يا أخي أن أبا أيوب حين يقـــول هذا كان في سن كبيرة قد جاوزت الشباب والكهولة ومع هذا فقلبه وروحـه وإيمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الإسلام .

٣١ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

والأحاديث الكريمة في ذلك وأمثاله وفي غزو البحـــر وتفضيله على غزو البر بمرات وفي غزو أهل الكتاب .

كذلك وفي تفصيل أحكام القتال ، أكثر من ان يحيط به مجلد كبير ، وندلك على كتاب « العبرة فيما ورد عن الله ورسوله في الغزو والجهاد والهجرة » للسيد حسن صديق خان وهو خاص بذلك البحث »، وكتاب (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) وما جاء في كتب الحديث كلها في باب الجهاد ترى الكثير الطيب .

حكم الجهاد عند فقهاء الأمة

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل الجهاد وأحب أن أنقل إليك طرفاً مما قاله فقهاء المذاهب حتى المتأخرين منهم في أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد لتعلم إلى أي حد ضيعت الأمة الإسلامية أحكام دينها في قضية الجهاد بإجماع آراء المسلمين في كل عصر من أعصارهم فاسمع :

١ - قال صاحب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر مقرراً أحكام الجهاد في مذهب الأحناف : « الجهاد في اللغة بذل ما في الوسع من القول والفعل ، وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم والمراد الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين (إذا

نقضوا) والمرتدين هم أخبث الكفار للنقض بعد الإقرار والباغين – بدءاً منا فرض كفاية يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة وإن لم يقاتلونا فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعضٌ سقط عن الباقين فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة أما الفريضة فلقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) ولقوله عليه الصلاة والسلام «الجهاد ماض إلى يوم القيامة » وإن تركه الكل أثموا .. إلى أن قال : **فان غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه والغريم بغير اذن دائنه .**

وفي كتاب البحر : امرأة مسلمة سبيت بالشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم » اﻫ .

٢ – وقال صاحب بُلْغَةُ السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك «**الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي ويتعين (أي**

يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الامام وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدَّيْنِ ان كان مديناً ويتعين ايضاً بالنذر، وللوالدين المنع منه في فرض الكفاية فقط وفك الأسير من الحربيين ان لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وان اتى على جميع أموال المسلمين » . اهـ

٣ – وفي متن المنهاج للإمام النووي – الشافعي – كان الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقيل عين وأما بعده فللكفار حالان :

أحدهما – يكونون ببلادهم ففرض كفاية إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

والثاني – يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن التأهب للقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن .

٤ – وفي المغنى لابن قدامة الحنبلي قال : مسألة – والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين في ثلاثة مواضع :

١ – إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام .

٢ – إذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

٣ – إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه .

وأقل ما يفعل مرة كل عام .

قال أبو عبدالله (يعني الإمام أحمد بن حنبل) لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد ، وغزوة البحر أفضل من غزوة البر . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « نام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت أم حرام فقلت ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة » متفق عليه ، ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لها لتكون من هؤلاء فدعى لها فعمّرت حتى ركبت البحـــر في أسطول المسلمين الذي فتح جزيرة قبرص وماتت بها ودفنت فيها وهناك مسجد ومشهد ينسب إليها رحمها الله ورضي عنها .

٥ – وقال في المحلى لابن حزم الظاهري – مسألة – والجهاد

فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين وإلا فلا. قال الله تعالى : «انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ » ، ولا يجوز إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم، أذن الأبوان أم لم يأذنا إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده فلا يحل له ترك من يضيع منهما .

٦ – وقال الشوكاني في السيل الجرار : « الأدلة الواردة في فرضية الجهاد كتاباً وسنة أكثر من أن تكتب هاهنا ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقين وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عين على كل مكلف وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعين ذلك عليه .

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين سلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة ، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار ، قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم ، وتحكم في شئونهم خصومهم

وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم ، فضلاً عن عجــزهم عن نشر دعوتهم ، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العــدة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمراً كان معقولا .

ولعل من تمــام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين في أي عصر من عصورهم قبل هذا العصر المظلم الذي ماتت فيه نخوتهم لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفــة منهم والمحترفون وغيرهم فكانوا جميعاً على أهبة الاستعداد ، كان عبدالله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعاً في أكثر أوقاته بالجهاد وكان عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد كذلك ، وكان شقيق البلخي شيخ الصوفية في وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد . وكان البدر العيني شارح البخاري الفقيــه المحدث يغزو سنة ويدرس العــلم سنة ويحج سنة ، وكان القاضي أسد بن الفرات المالكي أميراً للبحر في وقته ، وكان الإمــام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطىء .

كذلك كان السلف رضوان الله عليهم ، فأين نحــن من هذا التاريــخ ؟

لماذا يقاتل المسلم ؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الإسلام بفرضية الجهاد وإباحة القتال حتى تحققت الآية الكريمة : « سَنُرِيهِم آياتِنَا في الآفاقِ وَفي أنفُسِهِمْ حَتىّ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ الحَقُّ » فهاهم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام. فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون ، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل ، وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تبارك وتعالى : « وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنَحْ لَها وَتَوكَّلْ على الله » .

كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد، أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ، فحب الجاه عليه حرام ، وحب الظهور عليه حرام ، وحب المال عليه حرام ، والغلول من الغنيمة عليه حرام ، وقصد الغلب بغير حق عليه حرام ، والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للناس .

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال : « بعثنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي فتلقاني أهل الحي بالرنين فقلت لهم قولوا لا إله إلا الله تحرزوا ، فقالوها ، فلامني أصحابي وقالوا حرمتنا الغنيمة ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بالذي صنعت ، فدعاني فحسَّنَ لي ما صنعت ثم قال لي : ألا إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر . وقال : أما إني سأكتب لك بالوصاة بعدي ففعل وختم عليه ودفعه إليّ » أخرجه أبو داود .

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه : أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فكانت غزاة ، غنم فيها النبي ﷺ شيئاً فقسم وقسم له. فقال: ما هذا ؟ فقال قسمته لك . فقال : ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أُرمى إلى ههنا — وأشار بيده إلى حلقه — بسهم فأموت فأدخل الجنة . قال : إن تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي محمولا قد أصابه سهم حيث أشار . فقال النبي ﷺ : أهو هو ؟ قالوا : نعم . قال صدق الله فصدقه . ثم كفن في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته

«اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا شهيد على ذلك» أخرجه النسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رجلاً قال : يا رسول الله : رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا فقال : لا أجر له . فأعادها عليه ثلاثاً كل ذلك يقول : لا أجر له» أخرجه أبو داود .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟

قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» أخرجه الخمسة .

وأنت إذا قرأت وقائع الصحابة رضوان الله عليهم ومسالكهم في البلاد التي فتحوها رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية ، وهي إرشاد الخلق إلى الحق حتى تكون كلمة الله هي العليا، ورأيت مبلغ الخطأ في اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلب على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق .

الرحمة في الجهاد الاسلامي

لما كانت الغاية في الجهاد الإسلامي أنبل الغايات كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل فقد حرم الله العدوان فقال تعالى : « وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين » وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعالى : « وَلا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أنْ لاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوَى » وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة .

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى فهم في حربهم خير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسالمين .

عن بريدة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر الأمير عَلى جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه » أخرجه الشيخان .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أعفُّ الناس قِتلة أهل الإيمان » أخرجه أبو داود .

وعن عبدالله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن النهب والمُثلة » أخرجه البخاري .

كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى وإهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الآمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدنين الخانقة وفظائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل ؟

اللهم فقه المسلمين في دينهم وأنقذ العالم من هـــذه الظلمات بأنوار الاسلام .

ما يلحق بالجهاد

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهاداً أكبر هو جهـــاد النفس و كثير منهم يستدل

لذلك بما يروى : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد القلب أو جهاد النفس » .

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف النـــاس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح ، قال أمير المؤمنين في الحديث الحافـــظ ابن حجر في تسديد القوس (هو مشهور على الألسنة وهــو من كلام إبراهيم بن عيلة) .

وقال العراقي في تخريــج أحاديث الإحياء : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر ، على أنه لو صح فليس يعطى أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها ، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها، فليعلم.

وهناك أمور تلحق بالجهاد منها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاء في الحديث : « إن من أعظم الجهــاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

ولكن شيئاً منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يُقْتَل أو يَقْتُل في سبيل الله .

خاتمة

أيها الإخوان : إن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة ، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت ، فأعدوا أنفسكم لعمـل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

واعلموا أن الموت لا بد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة ، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة ، ولن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم وتدبروا جيـــداً قول الله تبارك وتعالى : « ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً

نُعاساً يَغْشَى طائِفةً مِنكُم وطائِفَةٌ قَدْ أَهمَّتهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ يَقولونَ هلْ لنا مِنَ الأمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إنَّ الأمْرَ كُلَّهُ للهِ ، يُخفونَ في أنفُسِهِم ما لا يُبدونَ لكَ ، يَقولونَ لوْ كانَ لنَا مِنَ الأمرِ شيءٌ ما قُتِلنا هاهنَا ، قُلْ لوْ كنتُمْ في بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِّينَ كُتِبَ عليهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ ولِيَبْتَلِيَ اللهُ ما في صُدورِكُمْ ولِيُمَحِّصَ ما في قُلوبِكُمْ واللهُ عَليمٌ بِذَاتِ الصُّدورِ » .

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة . رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله .

حسن البنا



النادي الشبابي

الجهاد في سبيل الله

سيّد قطب

بسم الله الرحمن الرحيم

لخص الإمام ابن القيم سياق الجهـــاد في الإسلام في « زاد المعاد » في الفصل الذي عقده باسم : « فصل في ترتيب هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حـين لقي الله عز وجل » : أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى ، أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أولى نبوتـه ، فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ . ثم أنزل عليه : « يا أيهـا المدثر . قم فأنذر » فنبأه بقوله : « اقرأ » وأرسله بـ : « يا أيها المدثر » ، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين . فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوّته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح . ثم أُذِنَ له في الهجرة وأُذِنَ

له في القتال . ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .. ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام : أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة .. فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد ، فان خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده .. ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها : فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، أو يدخلوا في الإسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان ، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم .. وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام : قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم . وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدّتهم . وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق ، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر ، فإذا انسلخت قاتلهم .. فقتل الناقض لعهده ، وأجّل من لا عهد له أو له عهد

مطلق ، أربعة أشهر . وأمره أن يتم للموفي بعهـــده عهده إلى مدته ، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيمـــوا على كفرهم إلى مدتهم . وضرب على أهل الذمة الجزية .. فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة . ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصـــاروا معه قسمين : محاربين وأهل ذمة ، والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معـه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب .. وأما سيرته في المنافقين فانه أمـر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأمر أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وان يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ، ونهي أن يصـلي عليهم ، وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه ان استغفر لهم فلن يغفر الله لهم .. فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين » ..

ومن هـذا التلخيص الجيد لمراحل الجهاد في الإسلام تتجلى سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين ، جـديرة بالوقوف أمامها طويلاً ، ولكننا لا نملك هنا إلا أن نشير إليهـا اشارت مجملة :

السمة الأولى : هي الواقعيـة الجدية في منهج هذا الدين ..

فهو حركة تواجه واقعاً بشرياً.. وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي .. انها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية ، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية ، تسندها سلطات ذات قوة مادية .. ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه .. تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات ، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها ، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات ، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبّدهم لغير ربهم الجليل.. **انها حركة لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي، كما انها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد** .. وهذه كتلك سواء في منهج هذا الدين وهو يتحرك لاخراج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده كما سيجيء .

والسمة الثانية : في منهج هذا الدين: **هي الواقعية الحركية..** فهو حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية ، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها .. فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة . كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة .. والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد ، ولا

يراعون هذه السمة فيه ، ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها .. الذين يصنعون هذا يخلطون خلطاً شديداً ويلبسون منهج هذا الدين لبساً مضللاً ، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادىء والقواعد النهائية . ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصاً نهائياً ، يمثل القواعد النهائية في هذا الدين ، ويقولون - وهم مهزومون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان — : إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع ! ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً ، وتعبيد الناس لله وحده ، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد ! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته ، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة .. بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة ، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها .

والسمة الثالثة : هي أن هذه الحركة الدائبة ، والوسائل المتجددة ، لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة ، ولا عن

أهدافه المرسومة . فهو منذ اليوم الأول — سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين ، أو يخاطب قريشاً ، أو يخاطب العرب أجمعين ، أو يخاطب العالمين ، إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة ، ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد هو إخلاص العبودية لله ، والخروج من العبودية للعباد . لا مساومة في هذه القاعدة ولا لين .. ثم يمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد في خطة مرسومة ، ذات مراحل محددة ، لكل مرحلة وسائلها المتجددة على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة .

والسمة الرابعة : هي ذلك الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى — على النحو الملحوظ في ذلك التلخيص الجيد الذي نقلناه عن « زاد المعاد » — وقيام ذلك الضبط على أساس **أن الاسلام لله هو الأصل العالمي الذي على البشرية كلها ان تفيء إليه ، أو ان تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي ، أو قوة مادية ، وان تخلي بينه وبين كل فرد ، يختاره او لا يختارة بمطلق ارادته ، ولكن لا يقاومه ولا يحاربه ! فان فعل ذلك أحد كان على الاسلام ان يقاتله حتى يقتله أو حتى يعلن استسلامه !**

●

والمهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن « الجهـــاد في الاسلام » ليدفعوا عن الاسلام هذا « الاتهام » يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الاكراه على العقيدة ، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين النـــاس وبينه ، والتي تعبّد النـــاس للناس ، وتمنعهم من العبودية لله .. وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما .. ومن أجل هذا التخليط ، وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمـة ! — يحاولون أن يحصروا الجهـاد في الاسلام فيما يسمونه اليوم : « الحرب الدفاعية » .. والجهاد في الاسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم ، ولا بواعثها ، ولا تكييفها كذلك .. إن بواعث الجهاد في الاسلام ينبغي تلمّسها في طبيعة « الاسلام » ذاتـه ودوره في هذه الأرض ، وأهدافها العليا التي قررها الله ، وذكر أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهـذه الرسالة ، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات .

ان هذا الدين اعلان عام لتحرير « الانسان » في « الأرض» من العبودية للعباد — ومن العبودية لهواه أيضاً وهي من العبودية للعباد — وذلك باعلان ألوهية الله وحده ـ سبحانه ـ وربوبيته للعالمين ..! إن اعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها : الثورة

الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وانظمتها واوضاعها ، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض، الحكم فيه للبشر بصورة من الصور..أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر بصورة من الصور .. ذلك أن الحكم الذي مردُّ الأمر فيه إلى البشر ، ومصدر السلطات فيه هم البشر ، هو تأليه للبشر ، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله. إن هذا الاعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله ، وطرد المغتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم ، فيقومون منهم مقام الأرباب ويقوم الناس منهم مكان العبيد .. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض أو بالتعبير القرآني الكريم .

« وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » .

« إن الحكم إلا لله .. أمر ألا تعبدوا إلا إياه .. ذلك الدين القيِّم ..» .

« قل: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.. ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون .. »

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولى الحاكمية في الأرض

رجال بأعيانهم – هم رجال الدين – كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ، كما كان الحال فيما يعرف باسم « الثيوقراطية » او الحكم الالهي المقدس !! – ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة ، وأن يكون مردُّ الأمر الى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة .

وقيام مملكة الله في الأرض ، وإزالة مملكة البشر ، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده .. وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية .. كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان ، لأن المتسلطين على رقاب العباد ، والمغتصبين لسلطان الله في الأرض ، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان ، وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض ! وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال !

إن هذا الاعلان العام لتحرير « الانسان » في « الأرض » من كل سلطان غير سلطان الله ، بإعلان ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين ، لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً .. إنما كان إعلاناً حركياً واقعياً إيجابياً .. اعلاناً يراد له التحقيق العملي في صورة

نظام يحكم البشر بشريعة الله ، ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك .. ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل « الحركة » إلى جانب شكل « البيان » .. ذلك ليواجه « الواقع » البشري بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه .

والواقع الانساني ؛ أمس واليوم وغداً ، يواجه هذا الدين – بوصفه اعلاناً عاماً لتحرير « الانسان » في « الارض » من كل سلطان غير سلطان الله – بعقبات اعتقادية تصورية ، وعقبات مادية واقعية ..وعقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية ، إلى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة .. وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد .

وإذا كان « البيان » يواجه العقائد والتصورات ، فان « الحركة » تواجه العقبات المادية الاخرى – وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة –..وهما معاً – البيان والحركة – يواجهان « الواقع البشري » بجملته ، بوسائل مكافئة لكل مكوناته .. وهما معاً

لا بد منها لانطلاق حركة التحرير للانسان في الأرض .. « الانسان » كله في « الأرض » كلها .. وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة أخرى !

ان هذا الدين ليس اعلاناً لتحرير الانسان العربي ! وليس رسالة خاصة بالعرب !.. ان موضوعه هو « الانسان ».. نوع « الانسان » .. ومجاله هو « الأرض » ،. كل « الأرض » . إن الله – سبحانه – ليس رباً للعرب وحدهم ولا حق لمن يعتنقون العقيدة الاسلامية وحدهم..ان الله هو«رب العالمين» .. وهذا الدين يريد أن يرد « العالمين » إلى ربهم ، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره . والعبودية الكبرى – في نظر الاسلام – هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر .. وهذه هي « العبادة » التي يقرر أنها لا تكون إلا لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين .ولقد نص رسول الله ﷺ على أن « الاتّباع » في الشريعة والحكم هو « العبادة » التي صار بها اليهود والنصارى « مشركين » مخالفين لما أمروا به من « عبادة » الله وحده ..

أخرج الترمذي – بإسناده – عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى

الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فاسرت أخته وجماعة قومه ، ثم منّ رسول الله ﷺ على أخته فأعطاها ، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الاسلام ، وفي القدوم على رسول الله ﷺ فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه – أي « عدي » – صليب من فضة وهو « أي النبي ﷺ » يقرأ هذه الآية .. « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ » . قال : فقلت إنهم لم يعبدوهم ، فقال **«بلى! انهم حرّموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم اياهم»** .

وتفسير رسول الله ﷺ لقول الله سبحانه ، نص قاطع على أن الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين ، وأنها هي اتخاذ بعض الناس أرباباً لبعض .. الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ، ويعلن تحرير « الانسان » ، في « الارض » من العبودية لغير الله ..

ومن ثم لم يكن بد للاسلام أن ينطلق في « الأرض » لإزالة « الواقع » المخالف لذلك الاعلان العام .. بالبيان وبالحركة مجتمعين .. وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تعبّد

الناس لغير الله .. — أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه — والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى « البيان » واعتناق « العقيدة » بحرية لا يتعرض لها السلطان . ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي — بعد ازالة القوة المسيطرة — سواء كانت سياسية بحتة ، أو متلبسة بالعنصرية ، أو الطبقية داخل العنصر الواحد !

انه لم يكن من قصد الاسلام قط ان يكره الناس على اعتناق عقيدته .. ولكن الاسلام ليس مجرد « عقيدة » . ان الاسلام كما قلنا اعلان عام لتحرير الانسان من العبودية للعباد . فهو يهدف ابتداء الى ازالة الانظمة والحكومات التي تقوم على اساس حاكمية للبشر للبشر وعبودية الانسان للانسان .. ثم يطلق الافراد بعد ذلك احراراً — بالفعل — في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم — بعد رفع الضغط السياسي عنهم ، وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم — ولكن هذه الحرية ليس معناها ان يجعلوا إلههم هواهم ، أو ان يختاروا بأنفسهم ان يكونوا عبيداً للعباد ! وان يتخذ بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله !. ان النظام الذي يحكم البشر في الارض يجب ان تكون قاعدته العبودية لله وحده ، وذلك بتلقي الشرائع منه وحده .

ثم ليعتنق كل فرد – في ظل هذا النظام العام – ما يعتنقه من عقيدة ! وبهذا يكون « الدين » كله لله . أي تكون الدينونة والخضوع والاتباع والعبودية كلها لله .. ان مدلول « الدين » اشمل من مدلول « العقيدة » ان الدين هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة ، وهو في الاسلام يعتمد على العقيدة ، ولكنه في عمومه أشمل من العقيدة وفي الاسلام يمكن ان تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام الذي يقوم على اساس العبودية لله وحده ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الاسلام .

والذي يدرك طبيعة هذا الدين – على النحو المتقدم – يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للاسلام في صورة الجهاد بالسيف – الى جانب الجهاد بالبيان – ويدرك ان ذلك لم يكن حركة دفاعية – بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح « الحرب الدفاعية » كما يريد المهزومون امام ضغط الواقع الحاضر وامام هجوم المستشرقين الماكر ان يصوروا حركة الجهاد في الاسلام– انما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير «الانسان» في «الارض». بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري ، وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة .

واذا لم يكن بد ان نسمي حركة الاسلام الجهادية حركة

دفاعية ، فلا بد ان نغير مفهوم كلمة « دفاع » ونعتـــبره « دفاعاً عن الانسان » ذاته ، ضـــد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره .. هذه العوامل التي تتمثل في المعتقدات والتصورات ، كما تتمثل في الانظمة السياسيـــة ، القائمة على الحواجز الاقتصادية والطبقية والعنصرية ، التي كانت سائدة في الارض كلها يوم جاء الاسلام ، والتي ما تزال أشكال منها سائدة في الجاهلية الحاضرة في هذا الزمان !

وبهذا التوسع في مفهوم كلمة « الدفاع » نستطيع ان نواجه حقيقة بواعث الانطلاق الاسلامي في «الارض» بالجهاد ، ونواجه طبيعة الاسلام ذاتها ، وهي انه اعلان عـام لتحرير الانسان من العبودية للعباد ، وتقرير ألوهيـة الله وحده وربوبيته للعالمين ، وتحطيم مملكة الهوى البشري في الارض، وإقامة مملكة الشريعة الالهية في عالم الانسان ..

اما محاولة ايجـاد مبررات دفاعية للجهاد الاسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن أسانيد لاثبات ان وقائع الجهاد الاسلامي كانت لمجرد صـــد العدوان من القوى المجاورة على « الوطن الاسلامي » — وهو في عرف بعضهم جـــزيرة العرب — فهي محاولة تنم عن قلة ادراك

لطبيعة هذا الدين ، ولطبيعة الدور الذي جـــاء ليقوم به في الارض . كما انها تشي بالهزيمة امام ضغط الواقع الحاضر ، وامام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الاسلامي !

ترى لو كان ابو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة أكانوا يقعدون اذن عن دفع المد الاسلامي إلى اطـــراف الارض ؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد ، وامام الدعوة تلك العقبات المادية من انظمة الدولة السياسية ، وانظمة المجتمع العنصرية والطبقيـة ، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك ؟!

انها سذاجة ان يتصور الانسان دعوة تعلن تحرير « الانسان » .. نوع الانسان .. في « الارض » .. كل الارض .. ثم تقف امام هذه العقبات تجاهدها باللسان والبيان !.. انها تجاهد باللسان والبيان حينما يخلى بينها وبين الأفراد ، تخاطبهم بحرية ، وهم مطلقو السراح من جميع تلك المؤثرات .. فهنـا « لا إكراه في الدين » .. اما حين توجد تلك العقبات والمؤثرات المادية ، فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة ، للتمكن من مخاطبة قلب الانسان وعقله ، وهو طليق من هذه الاغلال !

ان الجهاد ضرورة للدعوة ، إذا كانت اهدافها هي اعلان تحرير الانسان اعلاناً جاداً يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه ، ولا يكتفي بالبيان الفلسفي النظري ! سواء كان الوطن الاسلامي – وبالتعبير الاسلامي الصحيح : دار الاسلام – آمناً أم مهدداً من جيرانه . فالاسلام حين يسعى إلى السلم ، لا يقصد تلك السلم الرخيصة ، وهي مجرد أن يؤمّن الرقعة الخاصة التي يعتنق أهلها العقيدة الاسلامية . انما هو يريد السلم التي يكون الدين فيها كله لله ، أي تكون عبودية الناس كلهم فيها لله ، والتي لا يتخذ فيها الناس بعضهم بعضاً ارباباً من دون الله . والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية في الاسلام – بأمر من الله – لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأواسطها.. ولقد انتهت هذه المراحل كما يقول الامام ابن القيم: « فاستقر أمر الكفار معه – بعد نزول براءة – على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الاسلام .. فصاروا معه قسمين : محاربين وأهل ذمة ، والمحاربون له خائفون منه .. فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن « وهم أهل الذمة كما يفهم من الجملة السابقة » وخائف محارب » ..

وهذه هي المواقف المنطقية مع طبيعة هذا الدين وأهدافه ، لا كما يفهم المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وأمام هجـــوم المستشرقين الماكر !

ولقد كفَّ الله المسلمين عن القتال في مكة ، وفي أول العهد بالهجرة إلى المدينة .. وقيل للمسلمين : « كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » .. ثم أذن لهم فيه ، فقيل لهم : « أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذيــن أُخرجوا من ديارهم بغــير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله . ولولا دفع الله النـــاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيـع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز. الذين إنْ مكـّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبــة الامور » .. ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقيل لهم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم» .. ثم فرض عليهم قتـــال المشركين كافة فقيل لهم : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافـــة » .. وقيل لهم : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب .

حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . فكان القتال - كما يقول الامام ابن القيم - محرماً ، ثم مأذوناً به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع المشركين » ..

ان جديّة النصوص القرآنية الواردة في الجهاد ، وجديّة الاحاديث النبوية التي تحض عليه ، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الاسلام ، وعلى مدى طويل من تاريخه .. ان هذه الجدية الواضحة تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاوله المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الاسلامي !

ومن ذا الذي يسمع قول الله سبحانه في هذا الشأن وقول رسوله - ﷺ - ويتابع وقائع الجهاد الاسلامي ، ثم يظنه شأناً عارضاً مقيداً بملابسات تذهب وتجيء ، ويقف عند حدود الدفاع لتأمين الحدود !!

لقد بيّن الله للمؤمنين في أول ما نزل من الآيات التي أذن لهم فيها بالقتال ان الشأن الدائم الاصيل في طبيعة هذه الحياة الدنيا أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، لدفع الفساد عن الأرض : «أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع

الله النـــاس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .. وإذن فهو الشأن الدائم لا الحالة العارضة . الشأن الدائم أن لا يتعايش الحق والباطل في هذه الأرض . وانه متى قام الاسلام باعلانه العام لاقامة ربوبية الله للعالمين ، وتحرير الانسان من العبودية للعباد، رماه المغتصبون لسلطان الله في الأرض ولم يسالموه قط،وانطلق هو كذلك يدمّر عليهم ليخـــرج الناس من سلطانهم ويدفع عن « الانسان » في « الأرض » ذلك السلطان الغاصب .. حال دائمة لا يقف معهـا الانطلاق الجهادي التحريري حتى يكون الدين كله لله .

ان الكف عن القتال في مكة لم يكن الا مجـــرد مرحلة في خطة طويـلة . كذلك كان الأمر أول العهد بالهجرة . والذي بعث الجماعة المسلمة في المدينة بعد الفترة الاولى للانطلاق لم يكن مجرد تأمين المدينة .. هذا هدف أولي لا بد منه ، ولكنه ليس الهدف الأخير .. انه يضمن وسيلة الانطلاق ، ويؤمن قاعـدة الانطلاق .. الانطلاق لتحرير « الانسان » ، ولازالـة العقبات التي تمنع « الانسان » ذاته من الانطلاق !

وكفُّ ايدي المسلمين في مكة عن الجهاد بالسيف مفهوم . لأنه كان مكفولا للدعوة في مكة حرية البلاغ .. كان صاحبها

ـ صلى الله عليه وسلم ـ يملك بحماية سيوف بني هاشم ، ان يصدع بالدعوة ، ويخاطب بها الآذان والعقـــول والقلوب ، ويواجه بها الأفراد .. لم تكن هناك سلطة سياسية منظمة تمنعه من ابلاغ الدعوة ، او تمنع الأفراد من سماعه ! فلا ضرورة ـ في هذه المرحلة ـ لاستخدام القوة ، وذلك إلى اسباب اخرى لعلها كانت قائمة في هذه المرحلة . وقد لخصتها في ظلال القرآن عند تفسير قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين قيـــل لهم : كفـُّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ... » من سورة النساء . ولا بأس في إثبات بعض هذا التلخيص هنا :

«ربما كان ذلك لأن الفترة المكـِّية كانت فترة تربية واعداد، في بيئة معينة ، لقوم معينين، وسط ظروف معينة . ومن أهداف التربية والاعداد في مثل هذه البيئة بالذات ، تربيـــة نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم على شخصه أو على من يلوذون به ، ليخلص من شخصه ، ويتجرد من ذاته ، ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محـور الحياة في نظره ودافع الحركة في حياته . وتربيته كذلك على ضبط أعصابـــه ، فلا يندفع لأول مؤثر – كما هي طبيعته – ولا يهتـاج لأول مهيج ، فيتم الاعتدال في طبيعته وحركته . وتربيتـــه على ان يتبع

مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته ، ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره بـه – مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته – وقد كان هذا هو حجر الاساس في إعداد شخصيـة العربي ، لانشاء « المجتمع المسلم » الخاضع لقيادة موجهة ، المترقي المتحضر ، غير الهمجي أو القبلي !

« وربما كان ذلك أيضاً . لأن الدعـــوة السلمية كانت أشد أثراً وأنفذ ، في مثل بيئـة قريش . ذات العنجهية والشرف ، والتي قد يدفعها القتال معها – في مثل هذه المرحلة – إلى زيادة العناد ، وإلى نشأة ثارات دموية جديـــدة كثارات العرب المعروفة التي أثارت حرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، اعواماً طويلة، تفانت فيها قبائل برمتها . وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في اذهانهم وذكرياتهم بالإسلام ، فلا تهدأ بعد ذلك أبداً ، ويتحول الاسلام من دعوة ودين إلى ثارات وذحول تنسى معها وجهته الاساسية ، وهو في مبدئه ، فلا تذكر أبداً !

« وربما كان ذلك أيضاً ، اجتناباً لانشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت . فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة ، هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم ، انما كان ذلك موكولاً إلي أوليـاء كل فرد يعذبونه ويفتنونه « ويؤدبونه » ومعنى الاذن بالقتال – في

مثل هذه البيئـــة - أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت .. ثم يقال : هذا هو الاسلام ! ولقد قيلت حق والاســـلام يأمر بالكف عن القتال ! فقد كانت دعايـــة قريش في الموسم ، في أوساط العرب القادمين للحج والتجـارة : ان محمداً يفرق بين الوالد وولده ، فوق تفريقه لقومه وعشيرتـه ! فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد ، والمولى بقتـــل الولي .. في كل بيت وفي كل محلة ؟

« وربما كان ذلك أيضـــاً لما يعلمه الله من ان كثيرين من المعاندين الذين يفتنون اوائـل المسلمين عن دينهم ، ويعذبونهم ويؤذونهم ، هم بأنفسهم سيكونون من جند الاسلام المخلص ، بل من قادته .. ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟ !

« وربما كان ذلك أيضاً ، لأن النخوة العربية ، في بيئة قبلية ، من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمـل الأذى ، ولا يتراجع ! وبخاصة اذا كان واقعاً على كرام الناس فيهم .. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة - في هذه البيئة - فابن الدغنـة لم يرض أن يترك أبا بكر - وهو رجل كريم - يهاجر ويخرج من مكة ، ورأى في ذلك عاراً على العـــرب ! وعرض عليه جواره وحمايته .. وآخر هـذه الظواهر نقض

صحيفة الحصار لبني هاشم في شِعب أبي طالب ، بعدمـا طال عليهم الجوع واشتدت المحنـة .. بينما في بيئة أخرى من بيئات « الحضارة » القديمة التي مردت على الذل ، قد يكون السكوت على الأذى مدعاة للهزء والسخرية والاحتقار من البيئة ، وتعظيم المؤذي الظالم المعتدي !

« وربما كان ذلك ، ايضاً ، لقلة عـــدد المسلمين حينذاك . وانحصارهم في مكة ، حيث لم تبلـغ الدعوة إلى بقية الجزيرة ، أو بلغت أخبارها متناثرة ، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض ابنائهـا ، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف . ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة ، إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة – حتى ولو قتلوا هم أضعـــاف من سيقتل منهم – ويبقى الشرك ، وتنمحي الجماعة المسلمة ، ولم يقم في الارض للاسلام نظام ، ولا وجد له كيان واقعي . وهو دين جاء ليكون منهاج حياة ، وليكون نظامـاً واقعياً عملياً للحياة .

« ... الخ » ...

فأما في المدينة – في أول العهـــد بالهجرة – فقد كانت

المعاهدة التي عقدها رسول الله - ﷺ - مع اليهود من أهلها ومن بقي على الشرك من العرب فيها وفيما حولها ، ملابسة تقتضيها طبيعة المرحلة كذلك .

أولاً : لأن هناك مجالاً للتبليغ والبيان ، لا تقف له سلطة سياسية تمنعه وتحول بين الناس وبينه ، فقد اعترف الجميع بالدولة المسلمة الجديدة ، وبقيادة رسول الله - ﷺ - في تصريف شؤونها السياسية . فنصت المعاهدة على ألا يعقد أحد منهم صلحاً ولا يثير حرباً ، ولا ينشىء علاقة خارجية إلا باذن رسول الله - ﷺ - وكان واضحاً ان السلطة الحقيقية في المدينة في يد القيادة المسلمة . فالمجال أمام الدعوة مفتوح ، والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد قائمة .

ثانياً : ان الرسول ﷺ كان يريد التفرغ - في هذه المرحلة - لقريش ، التي تقوم معارضتها لهذا الدين حجر عثرة في وجه القبائل الأخرى الواقفة في حالة انتظار لما ينتهي إليه الأمر بين قريش وبعض بنيها ! لذلك بادر رسول الله ﷺ بارسال « السرايا » وكان أول لواء عقده لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة .

ثم توالت هذه السرايا ، على رأس تسعة أشهر . ثم على رأس ثلاثة عشر شهراً . ثم على رأس ستة عشر شهراً . ثم كانت سرية عبدالله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، وهي أول غزاة وقع فيها قتل وقتال ، وكان ذلك في الشهر الحرام ، والتي نزلت فيها آيات البقرة : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ! قُلْ : قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ . وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا .. »

ثم كانت غزوة بدر الكبرى في رمضان من هذه السنة .. وهي التي نزلت فيها سورة الأنفال .

ورؤية الموقف من خلال ملابسات الواقع ، لا تدع مجالاً للقول بأن « الدفاع » بمفهومه الضيق كان هو قاعدة الحركة الاسلامية ، كما يقول المهزومون أمام الواقع الحاضر ، وامام الهجوم الاستشراقي الماكر !

ان الذين يلجأون الى تلمّس اسباب دفاعية بحتة لحركة المد الاسلامي ، انما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشراقيــة ، في

وقت لم يعد للمسلمين شوكة ، بل لم يعد للمسلمين اسلام ! _ الا من عصم الله ممن يصرّون على تحقيق اعلان الاسلام العام بتحرير « الانسان » في « الأرض » من كل سلطان الا من سلطان الله ، ليكون الدين كله لله - فيبحثون عن مبررات ادبية للجهاد في الاسلام !

والمد الاسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له اكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية :

« فَلْيُقَاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بالآخِرَةِ . وَمَنْ يُقَاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً . وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ والوِلْدَانِ الذِينَ يَقُولُونَ : ربَّنَا أخْرِجْنَا مِنْ هذهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أهلُهَا ، واجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً واجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ؟ الذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ ، وَالذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلوُا أوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كانَ ضَعِيفاً » ..

(النساء : ٧٤ — ٧٦)

« قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ، وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » ... (الانفال : ٣٨ — ٤٠)

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ؛ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » ...

(التوبة : ٢٩ — ٣٢)

انها مبررات تقرير ألوهية الله في الأرض ، وتحقيق منهجه في حياة الناس ، ومطاردة الشياطين ومناهج الشياطين ، وتحطيم سلطان البشر الذي يتعبد الناس ، والناس عبيد لله وحده ، لا يجوز أن يحكمهم أحد من عباده بسلطان من عند نفسه وبشريعة من هواه ورأيه ! وهذا يكفي .. مع تقرير مبدأ : « لا إكراه في الدين » .. أي لا اكراه على اعتناق العقيدة ، بعد الخروج من سلطان العبيد والاقرار بمبدأ ان السلطان كله لله ، أو ان الدين كله لله ، بهذا الاعتبار .

انها مبررات التحرير العام للانسان في الأرض . باخراج الناس من العبودية للعباد الى العبودية لله وحده بلا شريك .. وهذه وحدها تكفي .. ولقد كانت هذه المبررات ماثلة في نفوس الغزاة من المسلمين ، فلم يسأل أحد منهم عما أخرجه للجهاد فيقول : خرجنا ندافع عن وطننا المهدد ! أو خرجنا نصد عدوان الفرس أو الروم علينا نحن المسلمين ! أو خرجنا نوسع رقعتنا ونستكثر من الغنيمة !

لقد كانوا يقولون كما قال ربعي بن عامر ، وحذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسألهم واحداً بعد واحد في ثلاثة أيام متوالية ، قبل

المعركة : ما الذي جاء بكم ، فيكون الجواب : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا الى سعتها . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .. فارسل رسوله بدينه الى خلقه، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وارضه . ومن ابى قاتلناه حتى نفضي الى الجنة او الظفر » .

ان هناك مبرراً ذاتياً في طبيعة هذا الدين ذاته ، وفي اعلانه العام ، وفي منهجه الواقعي لمقابلة الواقع البشري بوسائل مكافئة لكل جوانبه ، وفي مراحل محددة ، بوسائل متجددة .. وهذا المبرر الذاتي قائم ابتداء – ولو لم يوجد خطر الاعتداء على الارض الاسلامية وعلى المسلمين فيها – انه مبرر في طبيعة المنهج و واقعيته ، وطبيعة المعوقات الفعلية في المجتمعات البشرية .. لا من مجرد ملابسات دفاعية محدودة ، وموقوتة !

وانه ليكفي لأن يخرج المسلم مجاهداً بنفسه وماله .. « في سبيل الله » .. في سبيل هذه القيم التي لا يناله هو من ورائها مغنم ذاتي ، ولا يخرجه لها مغنم ذاتي ..

ان المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الاكبر في نفسه مع الشيطان .. مع هواه وشهواته

مع مطامعه ورغباته .مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه.. مع كل شارة غير شارة الاسلام .. ومع كل دافع الا العبودية لله ، وتحقيق سلطانه في الارض وطرد سلطـان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله ..

والذين يبحثون عن مبررات للجهاد الإسلامي في حمايـة « الوطن الاسلامي » يغضون من شأن « المنهج » ويعتبرونـه أقل من « الموطن » وهذه ليست نظرة الاسلام إلى هذه الاعتبارات . انها نظرة مستحدثة غريبة على الحس الاسلامي ، فالعقيدة والمنهج الذي تتمثل فيه والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج هي الاعتبارات الوحيدة في الحس الاسلامي . أما الأرض – بذاتها – فلا اعتبار لها ولا وزن ! وكل قيمة للارض في التصور الاسلامي انمـا هي مستمدة من سيادة منهج الله وسلطانه فيها ، وبهذا تكون محضن العقيدة وحقل المنهج و « دار الاسلام » ونقطة الانطلاق لتحرير « الانسان » .

وحقيقة ان حماية « دار الاسلام » حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج . ولكنها هي ليست الهدف النهائي ، وليست حمايتها هي الغاية الاخيرة لحركة الجهاد الاسلامي ، انما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ، ثم

لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النـــوع الانساني بجملته . فالنوع الانساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير !

وكما أسلفنا فان الانطلاق بالمذهب الالهي تقوم في وجهـــه عقبات مادية من سلطة الدولة ، ونظام المجتمع ، وأوضاع البيئة .. وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقـوة كي يخلو له وجه الأفراد من الناس ، يخاطب ضمائرهم وأفكارهم بعد أن يحررها من الاغلال المادية ، ويترك لها بعد ذلك حرية الاختيار .

يجب الا تخدعنا أو تفزعنا حملات المستشرقين على مبدأ « الجهاد » وألا يثقل على عاتقنا ضغط الواقع وثقله في ميزان القوى العالمية ، فنروح نبحث للجهاد الإسلامي عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين، في ملابسات دفاعية وقتية ، كان الجهاد سينطلق في طريقه سواء وجدت أم لم توجد !

ويجب ونحن نستعرض الواقع التاريخي ألا نغفل عـن الاعتبارات الذاتية في طبيعة هذا الدين واعلانه العام ومنهجه الواقعي ، وألا نخلط بينها وبين المقتضيات الدفاعية الوقتية ..

حقاً انه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له ، لأن مجرد وجوده في صورة اعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الانسان من العبودية لغير الله ، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية ، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية ، لأن الحاكمية فيه لله وحده .. ان مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله ، القائمة على قاعدة العبودية للعباد ، أن تحاول سحقه ، دفاعاً عن وجودها ذاته ، ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه ..

هذه ملابسة لا بد منها ، تولد مع ميلاد الإسلام ذاته ، وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضاً ، ولا خيار له في خوضها ، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً ...

هذا كله حق .. ووفق هذه النظرة يكون لا بد للاسلام أن يدافع عن وجوده ، ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضاً ..

ولكن هناك حقيقة أخرى أشد أصالة من هذه الحقيقة .. ان من طبيعة الوجود الاسلامي ذاته أن يتحرك إلى الأمام

ابتداء ، لانقاذ « الانسان » في « الأرض » من العبودية لغير الله ، ولا يمكن أن يقف عند حدود جغرافية ، ولا أن ينزوي داخل حدود عنصرية ، تاركاً « الانسان » .. نوع الانسان .. في « الأرض » .. كل الأرض .. للشر والفساد والعبودية لغير الله.

ان المعسكرات المعادية للاسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم الاسلام ، إذا تركها الاسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الاقليمية ، ورضي أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته واعلانه التحريري العام ! ولكن الاسلام لا يهادنها، الا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة اداء الجزية ، ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها .

هذه طبيعة هذا الدين ، وهذه وظيفته ، بحكم أنه اعلان عام لربوبية الله للعالمين ، وتحرير الانسان من كل عبودية لغير الله في الناس أجمعين !

وفرق بين تصور الاسلام على هذه الطبيعة ، وتصوره قابعاً داخل حدود اقليمية أو عنصرية ، لا يحركه الا خوف الاعتداء ! انه في هذه الصورة الأخيرة يفقد مبرراته الذاتية في الانطلاق !

ان مبررات الانطلاق الاسلامي تبرز بوضوح وعمق عند

تذكر ان هذا الدين هو منهج الله للحياة البشرية ، وليس منهج انسان ، ولا مذهب شيعة من الناس ، ولا نظام جنس من الأجناس !... ونحن لا نبحث مبررات خارجية الا حين تفتر في حسنا هذه الحقيقة الهائلة .. حين ننسى أن القضية هي قضية ألوهية الله وعبودية العباد.. انه لا يمكن أن يستحضر انسان ما هذه الحقيقة الهائلة ثم يبحث عن مبرر آخر للجهاد الاسلامي !

والمسافة قد لا تبدو كبيرة عند مفرق الطريق ، بين تصور ان الاسلام كان مضطراً لخوض معركة لا اختيار له فيهـــا ، بحكم وجوده الذاتي ووجود المجتمعات الجاهلية الأخرى التي لا بد أن تهاجمه ، وتصور انه هو بذاته لا بد أن يتحرك ابتداء ، فيدخل في هذه المعركة ..

المسافة عند مفرق الطريق قد لا تبدو كبيرة ، فهو في كلتا الحالتين سيدخل المعركة حتماً ، ولكنها في نهاية الطريق تبدو هائلة شاسعة ، تغير المشاعر والمفهومات الاسلامية تغيـــيراً كبيراً .. خطيراً .

ان هناك مسافة هائلة بين اعتبار الاسلام منهجاً إلهياً ، جاء ليقرر ألوهية الله في الأرض ، وعبودية البشر جميعاً لإله واحد ، ويصب هذا التقرير في قالب واقعي ، هو المجتمع الانساني الذي

يتحرر فيه الناس من العبودية للعباد ، بالعبودية لرب العباد ، فلا تحكمهم إلا شريعة الله ، التي يتمثل فيها سلطان الله ، أو بتعبير آخر تتمثل فيها ألوهيته .. فمن حقه إذن أن يزيل العقبات كلها من طريقه ، ليخاطب وجدان الأفراد وعقولهم دون حواجز ولا موانع مصطنعة من نظام الدولة السياسي ، أو أوضاع الناس الاجتماعية .. ان هناك مسافة هائلة بين اعتبار الاسلام على هذا النحو ، واعتباره نظاماً محلياً في وطن بعينه ، فمن حقه فقط أن يدفع الهجوم عليه في داخل حدوده الاقليمية !

هذا تصور .. وذاك تصور .. ولو أن الاسلام في كلتا الحالتين سيجاهد .. ولكن التصور الكلي لبواعث هذا الجهاد وأهدافه ونتائجه يختلف اختلافاً بعيداً ، يدخل في صميم الاعتقاد كما يدخل في صميم الخطة والاتجاه .

ان من حق الاسلام أن يتحرك ابتداء . فالاسلام ليس نِحلة قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم .. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الانظمة والأوضاع التي تغل من حرية « الانسان » في الاختيار . وحسبه أنه لا يهاجم الافراد ليكرههم على اعتناق عقيدته ، انما يهاجم

الانظمة والاوضاع ليحرر الافراد من التأثيرات الفاسدة ، المفسدة للفطرة ، المقيدة لحرية الاختيار .

من حق الاسلام أن يخرج « الناس » من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .. ليحقق اعلانه العام بربوبية الله للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين .. وعبادة الله وحده لا تتحقق – في التصور الاسلامي وفي الواقع العملي – إلا في ظل النظام الاسلامي . فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم ، حاكمهم ومحكومهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء .. أما في سائر الأنظمة ، فيعبد الناس العباد ، لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد . وهو من خصائص الالوهية ، فأيما بشر ادّعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه ، فقد ادّعى الألوهية اختصاصاً وعملاً ، سواء ادّعاها قولاً أم لم يعلن هذا الادعاء . وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية ، سواء سماها باسمها أم لم يسمها !

والاسلام ليس مجرد عقيدة ، حتى يقنع بابلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان . انما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس ، والتجمعات الأخرى لا تمكنه من

تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو ، ومن ثم يتحتم على الاسلام أن يزيل هذه الانظمة بوصفها معوقات للتحرير العام . وهذا – كما قلنا من قبل – معني أن يكون الدين كله لله، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته ، كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقوم على عبودية العباد للعباد !

ان الباحثين الاسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر وتحت الهجوم الاستشراقي ... ، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة ، لأن المستشرقين صوروا الاسلام حركة قهر بالسيف ، للاكراه على العقيدة . والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً ان هذه ليست هي الحقيقة ، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الاسلامي بهذه الطريقة .. ومن ثم يقوم المنافحون – المهزومون – عن سمعة الاسلام ، بنفي هذا الاتهام ، فيلجأون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الاسلام ووظيفته وحقه في « تحرير الانسان » ابتداء .

وقد غشي على أفكار الباحثين العصريين ـ المهزومين ـ ذلك التصور الغربي لطبيعة « الدين » وانه مجرد « عقيدة » في الضمير ، لا شأن لها بالانظمة الواقعية للحياة . ومن ثم يكون الجهاد للدين ، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير !

ولكن الأمر ليس كذلك في الاسلام ، فالاسلام منهج الله للحياة البشرية ، وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية - متمثلة في الحاكمية - وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية ! فالجهاد له جهاد لتقرير المنهج واقامة النظام . أما العقيدة فأمر موكول إلى حرية الاقتناع ، في ظل النظام العام ، بعد رفع جميع المؤثرات .. ومن ثم يختلف الأمر من أساسه ، وتصبح له صورة جديدة كاملة .

وحينما وجد التجمع الاسلامي ، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي ، فان الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام ، مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان . فإذا كفّ الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد ، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ ، مسألة مقتضيات حركة لا مسألة عقيدة .. وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة ، في المراحل التاريخية المتجددة، ولا نخلط بين دلالتها المرحلية ، والدلالة العامة لخط الحركة الاسلامية الثابت الطويل .



النادي الشبابي

الفهرس

صدر عن الاتحاد

باللغة العربية

- الجهاد في سبيل الله
- دور الطلبه في بناء مستقبل العالم الاسلامي

باللغة الماليزية

- رسالة الجهاد

باللغة التركية

- الجهاد في سبيل الله



النادي الشبابي

الثمن ١٥٠ ق . ل .